عمر الخيام

تأليف وترجمة

أحمد الصراف

الكتاب: عمر الخيام

تأليف وترجمة: أحمد الصراف

الطبعة: ٢٠٢١

صدرت الطبعة الأولى عام١٩٣١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

الصراف ، أحمد

عمر الخيام / تأليف وترجمة: أحمد الصراف

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٧٢ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٢ – ٩٥ – ٦٨٢٣- ٩٧٧- ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٣٣٢٦ / ٢٠٢٠

عمر الخيام

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

شيخي زن فاحشة كفتا مستى

هر لحظة بدام دكري يابستي

كفا شيا هر آنجة كوي هستم

قال شيخ لفاحشة: أنت سكري وفي كل لحظة متعلقة بشخص. فقالت أيها الشيخ أن الذي قلته في صحيح. لكنك أأنت أنت كما تظهر للناس؟

مقدمة المؤلف

غياث الدين أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام هو أحد النابغين في الشرق، ولد في نيسابور في أواسط القرن الخامس هـ وتوفي فيها في أوائل القرن السادس هـ وكان رجلاً ذكي الفؤاد، حاد الذهن، عصبي المزاج، متشائماً، يحمل بين جبينه نفساً ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم، وقد درس العلوم الشائعة في عصره فأتقنها، وبرز بالفلسفة والفلك، والرياضيات، والطبيعيات، وقد ألف رسائل وكتباً جليلة في مختلف العلوم دلت على صفاء ذهن، وسعة إطلاع، ومع أنه كان نابغة المفكرين في عصره، مقرباً من الملوك محترماً من الأمراء فإنه لم يشتهر اشتهاراً متناسباً مع مكانته العالية كاشتهاره بعد وفاته خصوصاً في القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الأخص. وعلة اشتهاره هي رباعياته التي اختفت أجيالاً ثم طلعت أخيراً كما تطلع الشمس من وراء السحب، وذلك أن الشاعر الأنكيزي المبدع "فتيز كرالد" كان أول من لفت أنظار الغربيين إليها فنقلها إلى الإنكليزية بأسلوب رائع جميل، وحلت الترجمة محلاً عالياً من قلوب الأنكليز والأميركان، وبذلك ذاع صيته وشاع اسمه في الغرب، وكان الخيام غير معروف عند العرب إلا القليل منهم ممن أطلع على الأدب الفارسي، وأول من بعت إلى تقديمه إليهم الأديب النسائي وديع النسائي ولم يكن الحمام ألمع عبقرية من أبي العلاء، والمتنبي، وابن الرومي، وأبي نؤاس، وحافظ، وسعدي، والخاقاني، والنظامي، ولكن الخيام أسعد منهم حظاً إذا

اتيح له من أشاد بأدبه والدنيا حظوظ وقسم. وإذا افتخر الفرس بالخيام فللعر حق ونصيب بالأفتخار به، لأنه تفقه بدينهم واعتز بسلطانهم، وتأدب بآدابهم، وتهذب بعلومهم، فهور ربيب عبقريتهم، وثقافتهم وأن شعره العربي وتأليفه بالعربية اسطع دليل على ما أدعيه، ومع ذلك فقد أنجبت الجزيرة أفذاذاً من الشعراء والفلاسفة والمفكرين وحسب العرب فخراً أن منهم المعري الذي كان قدوة للخيام في الشعر والتصوير وأمامه بالفلسفة والتفكير، وعلى كل فكلاهما مفخرة من مفاخر الشرق والمسلمين، والعرب، وكلاهما حكيم، وكلاهما عظيم.

الكتاب

وهذا الكتاب الذي أقدمه إلى القرآء هو مختصر كتاب وضعته في نيف وألف صفحة في درس حياة الخيام وأدبه وقد تصدي لطبع الكتاب المختصر صديقنا نعمان أفندي الأعظمي صاحب المكتبة العربية الذي خدم النهضة الأدبية بطبع أنفس الآثار.

ولا أكابر فادعي بأنني أحسنت في البحث وأجدت في الترجمة وإنما أقول هذا كل ما قدرت عليه. وقد عرضت الكتاب والترجمة على حبر العراق وعالمه الأستاذ فهمى بك المدرس فاستحسن البحث والترجمة، وحسبي فخراً أنني خدمت شاعر العرب وفيلسوفهم شيخ المعرة بقارنته بالخيام، والله يشهد أنني أديت الأمانة، فلم اتعصب لأحد بالباطل، وآثرت

الحياة خدمة للحقيقة. ولست مؤملاً أن أسمع ثناء ومن ألف فقد استهدف ومع ذلك فحسب المقل جهده.

في دمشق

وقد أسعدني الحظ بزيارة دمشق في صيف ١٩٣٠م فكنت طيلة بقائي في مدينة العطر والشعر مشمولاً بعطف أبنائها الطيبين، وقد نعمت عدة شهور في المدينة التي أنعمت عليها يد الله المحسنة بجلائل الآلاء مكرماً بين أبناء العم وقد هون على لطف أولئك المهذبين لوعة الشوق وألم الحنين إلى وادى الرافدين إلى الوطن الحزين. ولم أشعر في دمشق بوحشة الغربة وهل بغداد ودمشق ألا كجناحي النسر الصاعد إذا هيض أحدهما خفض الآخر، وهل أبناء بغداد إلا أبناء دمشق؟ وقد نلت الشرف العظيم بإلقاء محاضرة في المجمع العلمي يوم ٦ حزيران ١٩٣٠ في المقارنة بين الشاعرين الحكيمين المعري والخيام، وأنا فخور إذ كنت أول من انتصف للمعري، وقد تنازل أعيان المدينة الفاضلة فاستحسنوا المحاضرة، وكان من دلائل تقديرهم أن اقترح رئيس المجمع العلمي منحي وساماً عامياً، فانعمت الحكومة السورية على به، وأني لقاء ما لاقيته من أكرام وحفاوة من أبناء دمشق وفي مقدمهم علامة دمشق وحبرها الجليل مُحَمَّد كرد على بك رئيس المجمع العلمي، ونائبه الجليل الأستاذ المغربي، والألمعيان الشاعران شفيق جبري وجليل مردم، والكاتب العبقري معروف الأرناووط وغيرهم من الفضلاء أهديت كتابي إليهم وحسبي بذلك إظهاراً لشعوري.

مي خوردن وشاد بودن آيين منست

فارغ بودن زكفر ودين دين منست

كفتك بعروس دهر كابين تو جيست

كفتا دل خرم تو كايين منست.

عادتي أن اشرب الحميا وأسر بها. وديني أن أهجر الكفر والدين قلت لعروس الدهر ما هو صداقك؟ قالت قلبك الجذلان صداقي.

القسم الأول

عصره. سيرته. أدبه. فلسفة

مدينة الأحزان

أقصد بمدينة الأحزان "كربلاء"[1] تلك المدينة الشهيرة في التاريخ وقد عرفت وذاع صيتها بين المسلمين بمأساتها التاريخية التي ما دون تاريخ الإنسانية حادثة أفجع من حادثتها المؤلمة. وقد كان من سوء حظ العرب والإسلام وقوع تلك الفاجعة التي سببت الويلات الكثيرة والمصائب الجمة لما حصل لأبي عبد الله الحسين وآله من القتل والتنكيل والعذاب والأسر وقد ولدت تلك المأساة الوانا من الأحقاد والضغائن في القلوب وأوجدت الشقاق والاختلاف بين العرب والمسلمين وما زلنا نحن الأحفاد نقاسي الأمرين ونعاني من نتائج هذه الوقعة ما نعاني وكن القاتلون ونحن المقتولون وقد أصبحت كربلاء بعد ذلك المصاب الجلل مزاراً مقدساً يؤمه المسلمون

---

(1) اختلف في لفظة "كربلاء" فقيل أنها منحوتة من كلمة "كور بابل" وهي مجموعة قرى بابلية منها نينوي والغاضرية وكربله والنواويس والحائر وهو موضع القبر إلى رواق البقعة الشريفة، وقيل أنها مركبة من (كرب) أي حرم و(ايل) اله ومعناها (حرم الله) وهناك أقوال كثيرة لا تخرج عن دائرة الاحتمال والظن.

وتبعد كربلاء الحالية عن بغداد ٦٤ ميلا وهي مدينة واسعة كثيرة الرياض والغيا، تحيط بها عرائس النخيل، وفي جنانها ألوان وأصناف من الفاكهة اللذيذة. وهي إلى ذلك ذات شوارع مستقيمة وأبنية فخمة وعمارات جميلة.

من كل صوب وحدب ولا أغالي إذا قلت أنها المدينة التي يحج إليها في كل عام مائة ألف فارسي ونصف هذا العدد أو أكثر من الأقوام الأخرى كالهنود والأفغان والتركمان وغيرهم ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والطغي والعامل بالتكوق فيها بضعة أيام بل فيهم من يفضل البقه فيها أعواماً طويلة. ومنهم من ينقل إليها تجارته وأعماله متخذاً أياها موطناً ثانياً له، وعلى مرور الأيام غمرتها العجمة وأصبح كل من ولد أو سكن فيها يتكلم الفارسية ويلم بها على اختلاف لهجاتها.

وقد شاءت أرادة الله أن أشم نسيم الحياة في هذه المدينة التي لا ينقطع فيها النواح والبكاء والعويل لحظة واحدة فهي جديرة بأن تسمى "مدينة الأحزان"

بي بي جان

ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدت أنني اتكلم الفارسية العامية مثل سائر الصبية من أهل المدينة أني وجدت في بيت أبي عجوزاً شمطا فارسية قد طحنتها كلا كل الأيام وترك الحوادث في وجهها غضوناً وفي سحنتها شحوباً يتم عن ألم عميق وقد أشعلت المصائب رأسها شيباً كان بياضه صفحة قلبها الطيب الودود ووجدت كل من في البيت يحفظ لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً عظيما فكانت "بي بي جان" الآمرة الناهية في طول البيت وعرضه بل كانت ربة الدار وقهر مانة البيت تؤدب الصغير وترشد الكبير وتحنو على من فيه كأنهم فلذات كبدها غير أني كنت أجهل علاقة

هذه الفارسية ببيت والدي وقد حدثتني أمي عنها حديثاً شجيا أقصه عليك:

كانت "بي بي جان" زوج سري فارسي من مدينة شيراز وهي من حفيدات "فتح على شاه" الملك القاجاري وقد هجر زوجها مدينة شيراز وشد الرحال إلى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها فأصبح بها مقيما إلا أنه ما عتم أن ابتلى بالا فيون فاجتاحت هذه الأفة أمواله حتى قضت على الدانق الأخير فهجره أعوانه وتركه خدامة فأملق مثقلا بالديون إلى أن هاجمته الأوجاع والأمراض ثم حفر له الضنى حفرة طمه فيها فكان أثراً بعد عين فبقيت بي بي جان الأميرة البائسة وحيدة فريدة لا ركن لها تأوي إليه، ولا والد يحميها ولا شقيق تعتمد عليه، وقد عضها الحزن وآلمها الفقر والذل فوقعت مريضة. ولما بلغ جدي ما جرى لها –وكان خطيب المدينة وواعظها– هزه مرؤته العربية فجاء إليها بمن حملها إلى بيته وأحضر لها الأطباء وبذل في سبيل نجاتها الجهود إلى أن عادت إليها العافية وشفيت من مرضها وقوى جسدها فجعلها مربية لاولاده وبناته فكان يجلها ويحسن معاملتها ويوصى بها خيراً متبعا القول المأثور "ارحموا عزيز قوم ذل" وكانت بي بي جان على جانب عظيم من الفضل والأدب والأخلاق. ناسكة زاهدة لبيبة فطنة. وكانت تجيد القلم والإنشاء في الفارسية وتستظهر أروع الشعر وأحسنه وكانت تلم بتراجم الشعراء ونكاتهم وتحفظ الشئ الكثير من الأمثال الفارسية والعربية فتولت تعليم أمي وإخوانها وأخواتها وقد أدركتها ولم يبق في فمها إلا ناب وقد انحني ظهرها وضعف بصرها. وكمنا إذا اجتمعنا في غرفتها ليالي الشتاء للسمر حدثتنا حديثا لذيذاً عن نكات

الشعراء والأدباء من الفرس والعرب إلى أن يتغشنا النعاس فتصرفنا عندئذ واحداً أثر واحد وتشيعه إلى مضجعه.

وقد توفاها الله في صيف سنة ١٩١٩ فشيعناها بالعبرات والحسرات تغمدها الله برحمته.

أول عهدي بالخيام .. أسطورته

في إحدى ليالي الشتاء عام ١٩١٧ اجتمعنا في غرفة المرحومة صغاراً وكباراً وهي تدير علينا أكواب الشاي وتسقينا من حديثها الجميل ما هو أحلي من رحيق الراح، فابتهجت النفوس وطربت الأرواح، وقد أمسكت غليونها الطويل – وما زلت محتفظاً به– تبلع دخانه وتمتصه كما يمتص الطفل ثدي أمه وقالت، وعلى فمهما ابتسامة تشف عن نفس كريمة وقلب طهور.

أحدثكم الليلة عن أحد القندرية واسمه عمر الخيام قالت:–

صعد ذات يوم على قمة الجبل وأخذ معه بريقاً مترعاً بالمشعشعة وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة فحطمت أبريقه فأسكبت الخمرة فهاجمت ثائرته وغضب غضباً شديداً فخطب الله بهذه الرباعية:

ابريق مي مرا شكستي ربي

برمن در عيش واببستي ربي

برخاك فكندي مي كلكون مرا

حاكم بدهن مكر تومستي ربي

أي– حطمت يا ألهي ابريق خمري وأوصدت باب الطرب في وجهي، وسكبت على الأرض خمرتي اللازوردية. تراب بفمي فهل أن سكران مثلي؟!!

ولما أتم إنشاء هذه الرباعية أسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة ففزعت ابنته وقالت له يا ابتاه قد أسود وجهك وناولته مرآة فلما نظر إلى وجهه في المرأة وألقاه أسود فاحماً بكي بكاءاً شديداً وندم على ما فرط في جنب الله وعلم أن الله قد غضب عليه فاستغفر الله عن هفوة اللسان بهذه الرباعية:

فاكرده كنه در جهان كيست بكو

وأنكس له كنه نكردجون زيست بكو

من بدكنم وتوبد مكافات دهي

بس فرق ميان من وتو جيست بكو

أي– يا آلهي قل من الذي لم يرتكب خطاً وكيف عاش إنسان ولم يرتكب خطأ –أو ذنبا– أنا أعمل سوءاً وأنت تجاز بني بسوء مثله إذا ما الفرق بيني وبينك؟

ولما انتهي من إنشاد هذا الرباعي عاد وجهه كما كان أولا.

بهذا حدثتني "زن أغا"[٢] عن عمر الخيام قبل اثنتي عشرة سنة وأنا يومئذ فتي يافع وقد بعثت في هذه الأسطورة اللذيذة رغبة الإطلاع على شعره ومعرفة شخصه فطلبت إليها أن تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة أن في شعره مالا يتفق مع الشرع، فالحت عليها إلحاحاً شديداً فأخذت تدرسني رباعياته وفي مدة لم تتجاوز الشهرين استظهرت جميع رباعياته فوقفت على دقيق معانيها وعميق مغازيها فملت إليه كل الميل وشعرت بلذة نفسية من دراسة شعره وفي سنة **١٩٢١** فاتحني صديقي الشاعر المبدع السيد مُحَمَّد الهاشمي بترجمة الرباعيات فترجمت له ما يقرب من **٣٠٠** رباعية وقد صبها في قوالب عربية نفيسة مع المحافظة على الروعة والجلال والانسجام غير أننا لم نوفق لطبع الكتاب فانفرد كل مما لديه فأخذت يومئذ أدرس أدب الخيام وحياته على الطريقة العصرية فانتجت هذا الكتاب الذي أقدمه إلى قارئيه بيد مر تعشه يهزها الحياء والخجل.

---

(٢) وكان هذا لقبها.

من هو عمر الخيام؟

الوثائق التاريخية التي وردت فيها أخبار عمر الخيام وحوارته

من أقدم الوثائق التاريخية التي وردت فيها أخبار عمر الخيام وحوادثه كتاب "جهر مقالته- أربع مقالات" لمؤلفه أحمد بن عمر بن على النظامي العروضي السمر قندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ وقد قيل له أن أستاذه توفي منذ أربع سنوات.

النظامي

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي أفردها لأخبار الفلكيين ما ترجمته(٣):-

في سنة ٥٠٦هـ في مدينة "بلخ" وفي صرح "أمير بوسعد جره" حظيت بخدمة الأستاذ عمر الخيام والأمام المظفر الأسفزراري(٤) وفي أثناء الحديث سمعت حجة الحق أي -عمر الخيام-، يقول أنني إذا مت فإن

(٣) جهار مقاله ص٦٢-٦٤.

(٤) هو الفيلسوف أبو حاتم المظفر الأسفزاري كان معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الأثقال والحمل وكان رؤوفا بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيامي وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والآثار العلوية وغير ذلك (تاريخ حكماء الإسلام في زانة المجتمع العلمي الغربي في دمشق)

قبري سيكون في مكان تهب عليه نسائم الشمال وينتثر عليه الزهر والورد.

وقد تملكني العجب من قوله لأني كنت أعلم أن خياماً لا يتكلم إلا عن روية وفي سنة ٥٣٠هـ دخلت نيسابور فبلغني أن التراب قد أخفي ذلك العظيم منذ أربع سنوات وترك العالم السفلي يتيما. ولما كان له حق التعليم ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ومعي رجل ليدلني على قبره فأخذني الرجل إلى مزار (حيره) ولما وصلنا التفت إلى اليسار فألفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد أحاطت بقبره أشجار المشمس المنورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى أخفي قبره وقد ذكرت ما قاله لي في بلخ فبكيت ولم أجد في هذا العالم نظيره أسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه.

البيهقي

هو الشيخ الإمام ظهير الدين أبو الحسن ابن الإمام أبي القاسم البيهقي[٥] المتوفي في حدود ٥٧٠ هجرية فقد ذكر في كتابه (حكماء الإسلام) [٦] ما نصه:-

---

(٥) بيهق بلدة من نواحي نيسابور.

(٦) ظفر بهذا الكتاب الجليل علامة دمشق الأستاذ الكبير السيد مُحَمَّد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في إحدى مكتبات أوروبا الكبرى فصوره وأهداه إلى المجمع وأضاف بذلك حسنة أخرى إلى حسناته الجمة أدام الله حياته.(٧) لم يذكر البيهقي هذا الرباعي في كتابه "حكماء الإسلام" وإنما ذكره

ولقد دخلت على الإمام –أي عمر الخيام– في خدمة والدي فسألني معني هذا البيت في الحماسة:

ولا يرعــون أكنــاف الهــويني   إذا حلــــوا ولا أرض الهـــــدون

فقلت له: الهويني اسم تصغير كالثريا والحميا ومعناه أنهم من عزهم وجرأتهم لا يرعون النواحي التي أباحتها المسالمة ووطأتها المهادنة ولكن النواحي المتحاماة.

ثم سألني عن أنواع الخطوط القوسية. فقلت: أنواع الخطوط القوسية أربعة منها محيط دائرة ومنها قوس أعظم من نصف دائرة. فقال لوالدي:

"شنشنة أعرفها من أخزم"!

وحكي له ختنه الإمام مُحَّد البغدادي أنه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل في كتاب (الشفاء) ولما وصل إلى فصل الواحد بالكثير قال لي: أطلب الأصحاب لأنني أريد أن أوصي ولما اجتمعوا طفق يصلي وأعرض عن غيره، ولما سجد كان يقول في سجوده "اللهم إني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فإن معرفتي إياك وسيلتي إليك" ثم قضى نحبه. وكان آخر نظمه هذا الرباعي:

سير آمدم أي خداي أزهستي خويش

أزتنك دلي واز تهي دستي خويش

أز نيست جو هست ميكني بيرون آر

زين نيستيم بحرمته ستي خويش(٧)

مللت يا ألهي وجودي ومن ضيق صدري وفراغ يدي يا من يجعل من العدم وجوداً أخرجني من عدمي بحرمة وجودك:

خاقاني

وبعد جهار مقالة ورد اسمه في أشعار خاقاني الشيرواني الذي توفي سنة **٥٩٥هـ** فقد قال في بعض قصائده

زان عقل بدور كفته كه أي عمر عثمان

هم عمر خيامي وهم عمر خطاب

الرازي

وجاء ذكره في كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين أبي بكر واضع حواشي جهار مقاله راجع ص**١٢٨-٢١٩** وفي رواية أخرى أنه أنشد هذا الرباعي ومات

يا رب خردم درخور أسباب تونيست

---

(٧) لم يذكر البيهقي هذا الرباعي في كتابه "حكماء الإسلام" وإنما ذكره

وأنديشه من يجر مناجات تونيست

من ذات ترا بواجي كي دائم

داننده ذات توبجز ذات تونيست

يا ربي أن عقلي قاصر عن معرفة أسبابك وما تفكيري إلا مناجاة لك أنا لا أعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك

ذكر هذه الرواية حسين دانش في كتابه (سر أمدان سخن) ص١٨٧ نقلا عن كتاب (نزهة الأرواح) للشهر زوري.

الرازي سنة ٦٢٠هـ ما ترجمته: "وما الحكمة في جعل هذه الروح العلوية النورانية في قالب سفلي أظلم متخذ من التراب؟ ثم ما السبب في التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما؟ لم تتلاشي هذه الصورة وهذا الشكل؟ وما السبب في نشر جسد الإنسان في المحشر مرة أخرى؟ أجل، إن الذي خرج من زمرة (كالأنعام بل هم أضل سبيلا) ووصل إلى المرتبة الإنسانية وخلص من قوله (ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن –علم أن ثمر النظر والقدم هو الإيمان والعرفان.

إن الفيلسوف الدهري الطبيعي محروم هذين المقامين حتى إن أحد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قد تاه في بيداء الضلال بقوله:

در دائرة كامدن ورفتن ماست

آنرا نه بدايت نه نهايت بيداست

كس مي نزند دمي درين عالم راست

كاين آمدن أزكجا ورفتن بكاجست

إن الدائرة التي فيها نجئ ونذهب ليست بذات بداية ونهاية، لا أحد يستطيع أن يقول من أين هذا المجيء وإلى أين هذا الذهاب.

الشهرزوري

ويلي هؤلاء الشهرزوري شمس الدين مُحَمَّد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام في كتابه "نزهة الأرواح روضة الأفراح" الذي ألفه بين سنة ٥٨٦-٦١١هـ(٨)فقال: عمر الخيام نيشابوري الأثار والميلاد كان تلوابي على ابن سينا في أجزاء علوم الحكمة إلا أنه كان سيء الخلق ضيق العطن. تأمل كتاباً بأصبهان سبع مرات وحفظه وعاد إلى نيسابور فأملاه فقوبل بنسخته الأصلية فلم يوجد بينهما تفاوت، وله ضنة بالتصنيف، والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون، والتكليف، وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ.

ودخل الإمام عمر يوماً على شهاب الإسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية

(٨) بروفسور ساخائو في مقدمة الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني ص٥٦.

فقال الوزير: على الخبير سقطنا، فسئل الإمام عمر عن ذلك فذكر وجود اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً. فقال الغزالي "كثر الله في العلماء مثلك، اجعلني من بعض أهلك وأرض عني، فإني ما ظننت أحداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء" وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها.

ودخل حجة الإسلام الغزالي عليه وسأله عن تعيين جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الأجزاء، فطول الخيامي الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا، وضن بالخوض في محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى أذن الظهر فقال الغزالي: جاء الحق وزهق الباطل. وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الإمام معه على سريره.

ودخل على السلطان سنجر وهو صبي[٩] قد أصابه جدري فلما خرج سأله الوزير كيف داويته وباي شيء عالجته؟ فقال عمر: الصبي مخوف. فرفع خادم حبشي ذلك إلى السلطان، فلما شفي السلطان أبغضه.

وحكي أنه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الإلهيات من الشفاء فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى وأوصي ولم يأكل ولم يشرب، ولما صلى العشاء سجد وكان

---

(٩) راجع كتاب جهار مقاله لمؤلفه تلميذ خيام (العروضي السمر قندي)

يقول في سجوده "اللهم تعلم أني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي وأن معرفتي إياك وسيلتي إليك" ومات رحمه الله تعالى

وقد ذكر له شعراً في العربية سنذكره في بحث (أشعاره العربية)

ابن الأثير

وقد جاء ذكره في كتاب كامل التواريخ لابن الأثير المؤلف سنة ٦٢٨هـ فقد ذكر في ذيل حوادث سنة ٤٣٧هـ ما نصه:

"وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم: وفيها أيضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيامي وأبو المظفر الاستفزازي وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم[١٠] وخرج عليه من الأموال شيء عظيم وبقي الرصد دائراً إلى أن مات السلطان سنة ٤٨٥هـ فبطل بعد موته".

القفطي

وممن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين أبو الحسن على ابن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفي سنة ٦٤٦هـ قال:

"إمام خراسان، وعلامة الزمان، يعلم علم يونان، ويحث على طلب

---

(١٠) قال مؤلف "سرامدان سخن" أن الذين عهد إليهم بناء الرصد كانوا ثمانية من الفلكيين ومنهم عمر الخيام ولم يذكر المصدر الذي نقل منه هذا الخبر.

الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية، لتنزيه النفس الإنسانية، ويأكل بالتزام السياسة المدنية، حسب القواعد اليونانية، وقد وقف متأخر والصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع، ومجامع للأغلال جوامع، ولما قدح أهل زمانه، في دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه، خشى على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لا تقية، وأبدى أسراراً من السرار غير نقية، ولما حصل ببغداد سعي إليه أهل طريقته في العلم القديم، فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم، ورجع من حجه إلى بلده يروح إلى محل العبادة ويغدو، ويكتم أسراره ولابد أن تبدو، وكان عديم القرين في علم النجوم، والحكمة، وبه يضرب المثل في هذه الأنواع لو رزق العصمة، وله شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه، وتكدر عرق قصده كدر خافيه. فمنه:

إذا رضي نفسي بمسور بلغة	يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يلزماني موعدي أو مواعدي
أليس قضي الأفلاك من دور هابان	تعيد إلى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك إنما	تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متي ما دنت دنياك كانت بعيدة	فواعجي من ذا القريب المباعد
إذا كان محصول الحياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعد[11]

[11] راجع أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي طبع ليبسيك ص٢٤٣-٢٤٤.

القزويني

وممن ذكره من المؤرخين زكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزويني صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد الذي ألفه سنة ٦٧٤ هـ قال في بحثه عن نيشابور "ينسب إليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفا بجميع أنواع الحكمة سيما النوع الرياضي وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي.

سلم إليه مالا كثيراً ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك. وحكي أنه نزل ببعض الربط فوجد أهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها.

وحكي أن بعض الفقهاء كان يمشي إليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر بإحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم في داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات فجاة الناس من كل صوب فقال عمر: يا أهل نيشابور! هذا عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ مني العلم "يذكرني عندكم بما تعلمون فإن كنت أنا كما يقول فلأي شيء يأخذ علمي ولا فلأي شيء يذكر الأستاذ بسوء"؟[١٢].

(١٢) آثار البلاد وأخبار العباد طبع ووستفليه ص٢١٨.

رشيد الدين

ومن الذين ذكروه رشيد الدين بن فضل الله المتوفي سنة ٧١٨هـ صاحب كتاب جامع التواريخ قال ما ترجمته:

إن أسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصياح وعمر الخيام ونظام الملك أنهم كانوا في مدرسة واحدة وكان بينهم صفاء وأخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين أبناء المدارس حتى وصلت الصداقة إلى أوجها واتفقوا على الأخاء والمحبة ثم اتفقوا على أن من ينال منهم رتبة علمية يساعد الآخرين وبحسب الاتفاق اتفق أن وزر نظام الملك وزيرا كما هو مذكور في تاريخ آل سلجوق فذهب إليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق في أيام الصبا. فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له: وليتك نيسابور ونواحيها!

وكان عمر حكيماً عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال: "ليس لي طاقة بالسياسة وأمر العوام ونهيهم فأعطني راتباً شهرياً بحسب الوظيفة". فأعطاه نظام الملك عشرة آلاف دينار في السنة من دخل نيسابور المحروسة بدون نقص ولا انقطاع.... وكذلك سيدنا حسن الصبح ذهب من الري إلى نظام الملك ليحظي بخدمته، وقال له: "الكريم إذا وعد وفي" فقال له نظام الملك "اختر بين ولاية الري وأصفهان" وكان سيدنا ذاهمة عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به وكان يتوقع أن يشاركه بالوزارة.

فقال له نظام الملك: كن ملازماً لحضرة السلطان مدة.

إن نظام الملك كان يعلم أن حسن الصباح كان طالباً لأن يحل محله في الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه، وبعد سنين استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته".

الأبرقوهي

وممن ذكره مؤلف "فردوس التواريخ" وهو مولانا خسرو الأبرقوهي سنة ٨٠٨هـ قال ما تعريبه:- "خيام- وهو عمر بن إبراهيم الخيام- كان ذا باع طويل في العلوم الخاصة، وفي علم النجوم، وله رسائل ذائعة الصيت وأشعار لا نظير لها، ومن أشعاره:

هو ذره كه در روي زميني بودست

خورشيد رخي زهره جبيني بودست

كرد ازرخ نازنين بآزرم فشان

كان هم رخ وزلف نازنيني بودست

إن كل ذرة على وجه البسيطة هي وجه جميلة حسناء، يا هذا انفض الغبار برفق فإن هذا التراب كان وجه زهراء الجبين.

حمد الله المستوفي القزويني

وممن ذكره المؤرخ حمد اله المستوفي القزويني في كتابه الذي أتمه في

سنة ٧٣٠هـ[١٣] قال ما تعريبه:

"عمر الخيام بن إبراهيم كان متضلعاً من أكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان في عصره، وكان من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقي. له رسائل جيدة وشعر بديع، ومن شعره هذه الرباعية:

هر ذره كي بروي زميني بوده است

خورشيد رخي زهره جبيني بوده است

كرد أزرخ آستين بآزرم فشان

كان هم رخ خوب نازنيني بوده است

أي– إن كل ذره على وجه الأرض هي وجه زهراء الجبين، يا هذا انفض التراب من أردانك بأدب لأن ذلك أيضاً وجه جميلة فتانة.

خواندمير

قال صاحب كتاب روضة الصفا (ج٤ ص٦١) الشيخ مير خند وهو من علماء القرن الثامن للهجرة:

"قال الأستاذ نظام الملك أفاض الله عليه شآبيب الغفران: كان الشيخ موفق النيسابوري روح الله روحه من كبار علماء خراسان، وكان محترماً يتبرك به وقد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين، وكان مشتهراً عنه

---

(١٣) تأريخ كزيدة نقلا عن كتاب (عمر الخيام) لرضا توفيق وحسين دانش.

أن من يتعلم عنده القرآن والحديث من التلاميذ ينالون الرتب العالية فعلى ذلك أرسلني أبي إليه مع الفقيه عبد الصمد للتعلم، فذهبنا من طوس إلى نيسابور للتشرف بباب مجلسه العظيم والتعلم، فشرعت في الاستفادة والتعلم عليه، وكانت له عناية بي وقد أحبته واحترمته كثيراً، وبقيت عنده أربع سنين، واتفق أن رأيت عند مقدمي إليه تلميذين ذكيين أحدهما عمر الخيام والآخر الملعون حسن بن الصباح وكان على جانب عظيم من الذكاء، وبعد قليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة فكانا يأتيان عندي بعد الدرس فنتدارس ونتذاكر فيه، وكان عمر من نيسابور، وحسن صباح الذي اسم أبيه على من الري، وكان أبوه رجلا سيء المذهب خبيث العقيدة، وكان يقيم في الري، وكان إذ ذاك أبو مسلم المروزي واليآ على الري وهو معروف بحسن العقيدة والأخلاق الفاضلة، وكان حسن يعادى عادات أهل السنة ويظهر مفاسدهم، ولكنه كان يدعي إذا حضر عند أبي مسلم أنه برئ من بعض تلك الآراء ويحلف الإيمان على ذلك. ولما كان الإمام موفق النيسابوري أمام أهل السنة والجماعة في نيسابور جاءه ذلك الملعون (حسن) وشرع في الدرس عليه دافعاً لشبهة الرفض التي اتهم بها بطريقة الزهد واختار العزلة، وكان تارة تروى عنه كلمات تدل على الإلحاد والاعتزال، وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة، وكان ينتسب إلى العرب ويدعي أنه من حمير من آل صباح وأن والده من الكوفة أتى إلى قم ومنها إلى الري، وكان أهل خراسان –ولا سيما أهل طوس– يكذبونه في ذلك ويقولون أن أبا حسن هو أحد قروبي خراسان. قال نظام الملك –فقال لنا حسن يوماً: كلنا تلاميذ للإمام موفق النيسابوري وسننال الرفعة والحظوة

فمن يكون منها مظهراً لهذا الفيض، ولابد أن يكون أحد منا فماذا سيعمل لأخويه الباقيين؟ فقلنا له: ليكن كيفما تريد فقال: يلزم أن نتعاهد على أن كل من يصيب ذلك منا يشارك أخويه الآخرين ولا يكتفي بمنفعة نفسه. فقلنا: نعم فليكن ذلك، وثبتنا على تعهدنا، فمضت السنون على هذه الحادثة وسافرت من خراسان إلى ما وراء جيجون وغزنه وكابل، وبقيت مدة في غزنه وكابل ولما عدت خولني السلطان الب ارسلان وظيفة خطيرة فجاءني عمر الخيام وقيت ما تعهدنا به من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له وأكرمته وأعززته وقلت له بعد ذلك: يلزم أن يكون مثلك من أهل الكمال ملازماً لمجلس السلطان وقلت له: سأذكر فضلك للسلطان وأذكر حالك وعلمك فأجعل لك مكانة في نفسه حتى تكون مثلي. فقال لي الحكيم الخيام: أن عرقك الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك العالية التي أظهرت بها هذه المطالب دعتني إليك والأفان رجلا ضعيفاً مثلي لا يكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب، ولا ريب في أن هذه التلطفات صادرة عن صدق لا عن تكلف وهي قليلة بالنظر إلى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة على، ولو قضيت عمري بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التي تفضلت بها على، وإني أتمني أن أكون أبدا في موضع العبودية لدي مقامك، وأن ما أمرت به يجب أن لا تكون عاقبته الكفران والجحود، والآن انزوي جالساً في باب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد والدعاء بالعمر الطويل لك. قال نظام الملك: وأصر الخيام على هذا لأني أعلم أنه كان يتكلم بما في ضميره بدون تكلف فعينت له كل عام ١٢٠٠ دينار من أملاك نيسابور ينفقها على معاشه ولكنه رجع بعد ذلك إلى موطنه وأتم

الفنون خصوصاً فن الهيئة ووصل في هذا الفن إلى درجة رفيعة جدا. وفي عهد الملك العظيم ملك شاه جاء الخيام إلى مرو وأخذ في تدريس علم الحكمة وكان مظهر عناية السلطان ووصل مقاماً كان فيه من كبار العلماء والحكماء.

زوكوفسكي

ومن الوثائق التي عثر عليها المستشرف "زوكوفسكي" ما ورد في تأريخ الألفي الذي كتب في سنة ١٠٠٠هـ وهو مختصر "نزهة الأرواح" للشهرزوري، وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهي:

أي رفته وباز آمده بل هم كشته

نامت زميان نا مهاكم كشته

ناخن همه جمع آمده وسم كشته

ريش زبس كون در آمده دم كشته

يا من ذهب وجاء وصار "بل هم كالأنعام أو أضل سبيلا" لقد ضاع اسمك بين الأسماء واجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك في عجزك وصارت ذيلا.

تحقيق ما جاء في هذه الوثائق

الآن وقد انتهينا من استقصاء أهم الوثائق التاريخية عن عمر الخيام وما جرى له من الحوادث في حياته وما كان يعتقده فيه معاصروه –يقضي البحث العلمي أن ننظر فيها نظرة انتقاد عامة فهو قد لا يجوز قبول هذه الوثائق برمتها، وقد يبعث الشك في صحتها، وقد ينكر ما جاء فيها.

فتحتم علينا أن ننقد هذه الوثائق من الوجهة التاريخية ونزن ما جاءنا عنه من أنباء الحوادث والوقائع حتى نستخلص الحقيقة بطريقة التعليل المستندة إلى الاستقراء قياساً أو اجتهاداً. فإن ما أسند إلى هذا الحكيم من غرائب الأخبار وما عزى إليه من عجائب الحوادث يدفع إلى الارتياب في صحتها إذ سدلت على حياة الرجل غلالة من الغموض والإبهام. فإن ما كان عليه الخيام من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ومن فضل وأدب وتفكير صحيح يعارض ما ورد عنه وربما كان ما يقصه علينا المؤرخون من قبيل ما يلفق عن العظماء والمفكرين من الأخبار التي تختلق عادة إعظاماً لأقدارهم وحطاً لها.

ولست أجد في نفسي –وقد بحثت طويلا في تحقيق هذه الوثائق– ميلا إلى الاعتقاد بسلامتها من شوائب الكذب والافتراء مستثنياً ما كتبه

عنه تلميذه "النظامي" الذي درس عليه العلوم الشائعة في عصره، والبيهقي الذي تحدث إليه مرة واحدة في قضايا لغوية وفلكية.

وبعد فلنلق نظرتنا إلى هذه الوثائق...

رواية البيهقي –أما البيهقي فقد حدثنا عن كيفية وفاة الخيام فقال: "حكي لي خنه الإمام مُحَّد البغدادي أنه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل "كتاب الشفاء" ولما وصل إلى فصل الواحد والكثير قال لي اطلب الأصحاب لأنني أريد أن أوصي، ولما اجتمعوا طفق يصلى وأعرض عن غيره، ولما سجد كان يقول في سجوده "اللهم أني عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فإن معرفتي إياك وسيلتي إليك" ثم قضي نحبه.

فالذي يتأمل في هذا الخبر لا يتردد في الحكم على عدم صحته.

فإننا نجهل شخصية ختنه كما نجهل أصحابه، ولم نسمع ولم نقرأ عن وفاة إنسان على الصورة التي توفي فيها عمر الخيام، فإذا كان يراد بذلك أنه كان من أصحاب الكرامات والمعجزات؟؟ فإن الأنبياء الذين يفضون خياماً بما لهم من منزلة قدسية عند الله أولى وأجدر منه بهذه الميتة السهلة من غير معاناة ألم ومرض. وإذا كان يراد بهذه الحكاية إظهار فضله والإشادة بزهده وورعه فماذا تكون قيمة هذه إزاء الشهادات القاسية التي طعنت في دينه وعقيدته؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء العجيب وبين قول الشيخ نجم الدين الرازي صاحب كتاب مرصاد العباد الذي زعم أن خياماً كان من الفلاسفة الدهريين الطبيعين وأنه قد تاه في بيداً.

الضلال؟ وقول القفطي في كتابه "أخبار العلماء بأخبار الحكماء": ولما قدح أهل زمانه في دينه، وأظهروا ما أسره من مكنونه، خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لا تقية، وأبدى أسراراً من السرار غير نقية؟

على أن رحمة الله تسع أوزار الورى ولعل الله قد غفر لخيام في آخر ساعة من حياته بعد أن قضى دهراً طويلا يدعو الناس إلى معاقرة بنت الحان مسفهاً رأى من يعتقد بالحشر والنشر، ولله خوارق العادات؟!

على أنني لا أتردد في الحكم على هذه القصة المضحكة بأنها أسطورة اختلقها الناس.

رواية الشيخ ميرخوند —وأما الشيخ ميرخوند فقد نقل في كتابه (روضة الصفا) وصايا نظام الملك الوزير وفيها خبر اجتماعه في صغره مع عمر الخيام والحسن الصباح في مدرسة واحدة. وقد توقف أكثر العلماء الباحثين في قبول هذه الرواية واعتبروا هذا الخبر أسطورة، وحجتهم في ذلك أن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨هـ وقد ثبت أن وفاة عمر الخيام كانت سنة ٥١٧هـ ووفاة الحسن الصباح سنة ٥١٨هـ فعلى هذا يقتضي أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح ١٢٠ سنة وهو احتمال ضعيف وعلى هذا نفي أكثر العلماء والمشتغلين في هذا الموضوع

اجتماع هؤلاء الثلاثة لتعذر المقاربة بين أعمارهم(١٤).

ولست أميل إلى تكذيبها بتاتاً لأني لا استبعد وقوع ذلك وقد يجوز أن يعيش الإنسان ١٢٠ سنة لكن الذي يدفع الباحث إلى الارتياب في هذا الخبر هو شيء واحد، وهو أننا لو فرضنا أن عمر الخيام قد عاش هذا العمر اتفاقاً فهل يجوز لنا أن نفرض بأن الحسن الصباح قد عمر بقدر ما عمر الخيام اتفاقاً أيضاً؟ في هذه الحالة أقف إزاء هذه القصة موقف المتردد الذي يشك تارة ويوقن أخرى.

رواية زكريا بن مُحَمَّد بن محمود القزويني –أما زكريا القزوربي فقد روي في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد قصة غريبة عزاها إلى عمر الخيام وتتلخص في أن أحد الفقهاء كان يقرأ عليه درساً في الحكمة كل يوم قبل طلوع الشمس فإذا حضر عند الناس ذكر الخيام بالسوء فأمر الخيام بإحضار جمع من الطبالين والبوقبين وخبأهم في داره فلما جاء الفقه على عادته أمرهم الخيام بضرب الطبول فجاءته الباس، فقال الخيام: يا أهل نيشابور هذا عالمكم يأتيني كل يوم في هذا الوقت ويأخذ عني العلم ويذكرني عندكم بما تعلمون فسبب ذلك فضيحة للفقيه، إلى آخر القصة.

هذا ما رواه القزويني ونحن نعلم بأن عمر الخيام كان يجلس في سرير واحد مع ملكشاه السلجوقي، وكان ملك بخاري يعظمه كثيراً، وقد علم

(١٤) وممن ذكر هذا المستشرق الفرنسي لويز ماسنيون في أثناء زيارته بغداد منذ أكثر من عامين، وقد ضمنا وإياه مجلس كان فيه الاستاذان الأثري وعز الدين علم الدين.

الفلسفة في نيشابور وبني فيها الأرصاد وكانت له منزلة رفيعة حتى أن الإمام الغزالي قال له حين مواجهته له: اجعلني من بعض أهلك فهل من المعقول أن يسف الخيام هذا الإسفاف الذي يترفع عنه الفقيه لينتقم من شاتمه بهذه الوسيلة المضحكة.

رواية المستشرق زوكوفسكي –وأما المستشرق زوكوفسكي فقد زعم أنه عثر في تاريخ الألفي الذي كتب في سنة ١٠٠٠هـ على رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهذه الرواية لا يعتد بها أيضاً لأن من يهاجم عقيدة البعث بعد الموت في أكثر رباعياته لا يمكن أن يعتقد بمذهب التناسخ الذي هو رأي الأقوام المنحطة في التفكير.

مقام الخيام في الآداب الحديثة

الرباعيات في اللغات الأجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائلي في الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء. وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما أثار في نفوسهم الإعجاب الشديد بها، فافتنوا بها أي افتنان وتهافتوا على ترجمتها إلى اللغات نثراً ونظماً. واستظهروها وتحاوروا بها في مجالسهم وأمديتهم والذين تولوا الإشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته وإذاعة صيته هم بعض الأفذاذ من المستشرقين الذين يعود إليهم الفضل في بعث اسمه وإعلاء شأنه ولولا هؤلاء الفطاحل لبقي الخيام حامل الذكر مجهولا عند الناس.

ولست أريد أن أبحث في السبب الذي ساق هؤلاء إلى الاعتناء والرغبة فيها وإنما يكفي أن أقول أن المعاني الجليلة التي تضمنتها الرباعيات صادفت هوى في القلوب على اخلاف المشارب ولاءمت الأذواق والطباع فليس في الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وإنما تجلى فيها الذوق الإنساني العام فكان عمر الخيام كمن ترجم عن إحساس الناس وعبر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم.

هذ هو السر الذي أورث الميل إليه في الناس. وها نحن أولاء نذكر أسماء الرجال الذين عنوا برباعياته.

أول من عرف الخيام من الفرنجة العلامة (توماس هايد Thomas hayda) أستاذ اللغتين العربية والعبرانية في جامعة اكسفرد ومؤلف تاريخ أديان البرثيين والميديين، وقد بحث في شعر عمر الخيام وترجمه سنة ١٧٠٠م. ثم جاء من بعده فزكرلد vitzgerald وهو أول من أشاد بذكر الخيام ورفع ذكره ومقامه فنظم فلسفته بالإنكليزية رباعيات ضمتها روح الرباعيات الفارسية فخلد اسمه برباعياته التي صادفت قبولا عظيما من الإنكليز والأميركان وهي آية في السلاسة والرقة والإعجاز.

وترجمة فزكرلد هي المشهورة المتداولة بين الناس.

وإليك نموذجاً من نظمه:–

Awake for morning in
The bowl of night
Has flung the stone that
Quts the stars to flight:
And lot the hunter of
The east has eanght
The sultan's turret in a
Noose of light
Dreaming when dawn's left

Hand was in the sky
I heard avoice within the
Tavern cry
Awake, my little ones
And fil the cup
Before life,s liquor in its
Cup be dry
And, as the coek crew, the sw
Who stood before
The tavern shouted- open
Then the door
You know how little
While we have to stay
And, once departed, may
Return no more

وفي سنة ١٨١٨م ترجم المستشرق النمساوي هام برغستل hamnar purgstal خمسا وعشرين رباعية ونشرها في كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً أن هذه الرباعيات مخالفة للدين الإسلامي.

وفي سنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسي gorein de tassyعشر رباعيات.

وفي القرن التاسع عشر ترجم المستشرق السير كور أزلي gore sir ouseley رباعيتين وكان سفيراً في طهران وتوفي سنة ١٨٤٤م.

وفي سنة ١٨٩٨م ترجم المستشرق أدورد هيرن الرباعيات إلى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التي اعتمدها فز كرلد وبين ما راعاه هذا من الأصل في ترجمته وما لم يراعه.

وترجمها إلى الفرنسية نثراً المسيو نيقولا Nicolas الذي كان مستخدماً في السفارة الفرنسية في طهران، وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التي طبعت في بمبي، ومن رأيه أن الخيام شاعر صوفي مشغول بالعشق الألهي سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازي.

وترجمها إلى الإنكليزية كل من ونسفلد whinfield وهالن hallen وهرسن hirson وريشرد لكلين Richard le galliaun لكنهم لم يبلغوا الشأو الذي بلغه فزكرلد.

وقد ترجمها إلى الفرنسية المسيو ت.هنرى t.henry.

ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزي الأستاذ العلامة دينسن روس Denison ross.

وممن تتبع سيرته المستشرق والنين وكوفسكي valantin zhukovski فكتب باللغة الروسية أشياء ترجمها عن دينسن روس.

وبحث المستر براون e.g.brown أستاذ اللغتين العربية والفارسية في كمبرج بحثاً مفيداً عن فلسفته وسيرته.

وممن بحث في فلسفته جاكسن jaekson الأميركي وبحث المستشرق ديربلو bar jelmgd herblot المتوفي سنة ١٦٩٥ في كتابه "المكتبة الشرقية" عن الخيام.

الرباعيات في اللغة العربية

وأول من نقل الرباعيات إلى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستاني فترجم أربعين رباعياً من الإنكليزية من نظم الشاعر فزكرد. وهذا لم يترجم الرباعيات بنصها وفصها وإنما درسها درساً عميقاً حتى إذا تشبعت روحه بآراء الخيام أخرجها في قوالب شعرية هي من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيدة عن الأصل ولكن عليها مسحة من شاعرية خيام. والبستاني بترجمته أبعدها عن الأصل ولكن عليها مسحة من شاعرية خيام. والبستاني بترجمته أبعدها عن الأصل أكثر إلا أن له فضل الأولية في لفت أنظار العرب إلى رباعيات الخيام وفي ترجمته من الرقة والإحساس والسلالة والروعة الشعرية ما يفتن اللب ويهيج الشجو. وإليك نموذجاً من ترجمته:—

بــت في حــانتي ضــجيع المــدام		وقبيــل انهــزام جــنح الظــلام

راعني هاتف دوي في المقام

صــارخاً بالنيــام: حــتى إلى مــا		فارشــوفها وودعــوا الأيامــا

قبلمــا تجرعــون كــأس حمــام		راحهــا علقــم أســيغ شــرابا

وربيــع الحيــاة عهــد الصــباء		وحيــاتي كهــذه الصــهباء

مرها الحلو فهي طبي ودائي

صـــارخاً بالنيـــام: حـــتى إلى مـــا فارشـــوفها وودعـــوا الأيامـــا
وبـــبلخ أو نيســـبور سأقضــــي فـدعوني بعـض اللبانـة أقضـي
ودعـوني اسـقي المـدام دعـوني قبلما يدهم المشيب الشبابا
ومقـــامي غصـــن مظـــل بقفــر ورغيفـــان مـــع زجاجـــة خمـــر

كل زادي والأهل ديوان شعر

وحبيـــب يهـــواه قلـــبي المعـــني بشـــــجي يـــــذيبني يتغـــــني
هكـــذا أســـكن القفـــار وحيـــداً وأرى هـــذه القصـــور خـــرايا

وأعقب البستاني الأديب المصري السيد مُحَّد السباعي فأخرج إلى العربية مائة رباعي ورباعياً وقد ترجمها أيضا عن الإنكليزية البعيدة عن الأصل الفارسي وهي من حيث السبك والسلالة والرقة والروعة دون ترجمة البستاني لأن فيها من الألفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الإسماع ما يعافه الذوق ويمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستاني. وقد صدر النظم بهذا البيتين:

غـــرد الطـــير فنبـــه مـــن نعـــس وأدر كأســـك فالوقـــت خلـــس
سل سيف الهجر من غمد الدجي وتعري الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع) ولهما ثالث وهو قوله:

وانجلــــي عــــن حلــــل فضــــية نالهـــا مـــن ظلـــم الليـــل دنـــس

ولم يش السباعي أن يشير إلى اسم ابن وكيع تحتهما وإنما أغار على قوله فسباه، وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب.

وإليك الآن نموذجاً من ترجمته:

غـــرد الطـــير فنبـــه مـــن نعـــس　　　وأدر كأســـك فالوقـــت خلـــس

سل سيف الفجر من غمد الغلس　　　وانـــبرى في الشـــرق رام أرســـلا

أسهم الأنوار في هام القلاع

صـــاح بي في النـــوم طيـــف هاتهـــا　　　تمـــلأ الأكـــواب مـــن ياقوتهـــا

فيمـــــا تنضـــــب في كاســـــاتها　　　خمـــــرة الـــــروح وترتـــــد إلى

منبع في الغيب مجهول البقاع

وأول من نقل الرباعيات إلى العربية نظماً في العراق الشاعر الأديب السيد مُحَمَّد الهاشمي. وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها في العربية، فجاءت الترجمة طبقاً للأصل الفارسي وآية في الرقة والسلالة، وهي أصح ترجمة ظهرت إلى الآن في العالم العربي. ومنها:

يا إلهـــي إذا جنيـــت فـــأثمي　　　يا إلهـي علـى شـبابي وجسـمي

وعلـــى نفـــس الحزينـــة جرمـــي　　　أنا جـان رجـوت عفـواً وصـفحاً

منك قد غره رضاك فجارا

جيئتي في الـدنيا أذي واضـطراب　　　وبقـــــائي نحـــــير وارتيـــــاب

وبقســـر يكـــون مـــني ذهـــاب　　　أي قصـــد مـــن جيئـــة وبقـــاء

وذهاب؟ قد ضلت الألباب!

بيد مصحف وكأس بأخرى تارة بالحلال أتي ومرا

بحرام آتي فأحمل وزرا لست تحت السماء بالكافر

ولا كنت كامل الإسلام

يا إلهي أوعدتني بعذاب أنا منه في حيرة واضطراب

أين قل يا ربي مكان العذاب حيثما كنت لا عذاب فإني

هو؟ إذ أنتم بكل مكان

ثم أعقبه الأستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي فترجم الرباعيات الأصل الفارسي رباعية برباعية نثراً ثم نظماً، شيئاً بعد شيء، واختار منها مائة وثلاثين رباعية. فمن ترجمته:

أنا إن لم أحس السلافة يوماً كان للهم في فؤادي دبيب

قيل لي تب فقلت إن كان ربي لم يشأ توبتي فكيف أتوب

لعبوا بالتراب دهراً إلى أن جبلوا منه في النهاية طيني

أنا ما أن أكون أحسن مني فمن الكور هكذا أفرغوني

يا يد الماشطات حسناء روداً مشبهاً وجهها من الحسن زهرا

الغبار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

أما في مصر فأول من نقلها عن الفارسية شاعر الشباب أحمد رامي، وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤م، ولم أطلع عليها إلا عام ١٩٣٠م، وقد درستها بإمعان فإذا هي دون ترجمة الزهاوي والهاشمي بكثير. فمن ترجمته:

سمــع صــوتاً هاتفــاً في الســحر	نادي مـن القبـو غفـاة البشـر
هبوا املا وا كأس الطلاقبلي أن	تفعـم كـأس العمـر كـف القـدر
أحــس في نفســي دبيــب الفنــاء	ولم أصـب إلا الأسـي والشـقاء
ويا حســرتا إن حــان حبــني ولم	يـتح لفكـري حـل لغـز القضـاء
أفــق وصــب الخمــر انعــم بهــا	واكشــف خفــايا الــنفس مــن
ورو أوصــــالي بهــــا قبلمــــا	يصــاغ دن الخمــر مــن تربهــا

الرباعيات في اللغة التركية

وأول من ترجم الرباعيات إلى التركية هو المرحوم المعلم فيضي ولم يترجم أكثر من مئة رباعي.

ثم أعقبه "مستجابي زاده عصمت" وهو أحد أدباء الأتراك ثم عبد الله جودت الأديب التركي الكبير، وقد اشتهرت ترجمته أكثر من غيرها، ومن ترجمته:

باشمده يانان حسرتكه تاج ديرم
راهكده دوشوب أولمه يه معرا ديرم
هم شاعر ازاده وهم بنده حسن
به كو كلمه شاهنشه محتاج ديرم

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك وألف كتاباً بالاشتراك مع الأديب المحقق حسين دانش، وهو أنفس كتاب ظهر في اللغة التركية في

رباعيات الخيام.

ونشر قبل مدة من الزمن الأديب الحافظ عبد القادر الأزميري رسالة صغيرة تضمنت ترجمة مختصرة لعمر الخيام.

وترجم الشاعر التركي الشاب رفعت أحمد بك أربعين رباعياً فوفق كثيراً وآخر من نقلها إلى التركية الأديب التركي الفاضل حسين رفعت بك وقد ترجم (١٥٨) رباعية فأجاد كل الإجادة في النقل وحافظ على روعة الأصل إلا أنه استعان كثيراً بالألفاظ الفارسية وهو النقص الوحيد الذي يؤاخذ عليه. فمن ترجمته:

بر سحر وقتي ندا كادي بزم ميكده دن

ديدي: أي رتد خرابات نه دور ورسك ياهو؟

قالق كه لبريز أيده لم (مي) أيله بيمانه لرى

أو لما دن بوش قافان خاك سيهله مملو

بوكيجه ساغر كلرنك أيله ين

دلي تنشيط أيده يم بصباح

عقل وديني بوشايوب أوج كره

أيده يم باده يي نزويج ونكاح

الرباعيات في اللغة العبرية

وأول من نقل الرباعيات من الفارسية إلى العبرية نظماً المحامي سليم أفندي إسحق وهو من أصدقائنا المطلعين على دقائق الشريعة الموسوية وتأريخها وفلسفتها وقد ضرب في اللغات الإفرنجية بسهم وافر، وهو عدا ذلك شاعر باللغة العبرية. فمن ترجمته.

תוך הגלגל המצחק
בבני עולם בגלגולו
יש איש אחד ויש שני
אשר טיב לו בעמלו
זה המבין סוד הגלגל
גם עגולו גם פעלו
וזה אשר אין יודע
בין ימינו לשמאלו

כופרים יאמרו העולם הוא דבר ישן
חדש יאמר איש מאמין ודרשן
ואחר כי תחת עפר אישן
מה לי אם הוא חדש ואם ישן נושן

יום מחר אהרית עוד לא אנכי בי
ויום אתמול טרם בואי כלא
ויום שאני בקרבו
תאמרו תלוי במזלא
אם כן איך נקי בריבו
יהיה אושם בעלילה
בלי דעתו ישא חובו
ויכנה שם אב העולה

١– في هذا الفلك الذي يسخر بيني البشر عندما يدور يوجد واحد وثاني له، يرى خيراً في كل ما يعمله ذاك، هو الذي يفهم سر الفلك واستدارته وصنعه وذاك الذي لا يعرف ما بين يمينه وشماله.

٢– يقول الملاحدة أن العالم قديم، ويقول المؤمنون المتفقهون أنه حديث. أما أنا –بعدما ارقد تحت الشرق– فمالي وله جديداً كان حديثاً.

٣– إن الغد لست به بعد. ويوم أمس قد مر قبل أن آتيه. وتقولون أن اليوم الذي أنا فيه معلق بيد الأقدار. إذا فلماذا يكون البريء مجرماً من غير أن يقترف إثماً فيكون هو الضلل المخطئ؟

ثم أعقبه صديقنا الودود عزرا أفندي حدادا وهو أديب بالعربية وشاعر بالعبرية. وقد نقل ١٦٠ رباعية نظمً إلى العبرية. فمن ترجمته:

כָּל בֹּקֶר מִיְּמֵי הֶבְלִי ׳
אָשׁוּב לִבְלִי טְעֹם שֵׁכָר :
וּכְבוֹא עֶרֶב וְהֵן אֶצְלִי —
כּוֹסִי ׳ אֶת שְׂפָתַי תְּעַבֵּר .

עֵת מֵחֹמֶר יְצַרְתָּנִי ׳
—אֱלֹהַּ — יָדַעְתָּ עֲלוּמִי .
מִמְּךָ הָיָה כָּל מַצְפּוּנַי — :
רוּחִי ׳ בְּשָׂרִי ׳ עֲצָמַי .

אִם — כֵּן אֵפוֹא ׳ לָמָּה בְּיוֹם
תְּקִימֵנִי לַדִּין ׳ אֶרְשַׁע !
לָמָּה בְּעֵת מִשְׁפָּט אָיֹם ׳
אֶמְצָא שׁוֹאָה בְּלִי יֵשַׁע !

١– ولكم حاولت صباح كل يوم من أيامي الفانية أن أتوب عن
شرب الخمرة، لكنني عند المساء كنت أدري الكاس بقربي، تحرق

شفتي بخمرها المعتقة.

٢– رباه إنك يوم جبلتني من صلصال كنت عالماً بكل خفاياي، ومنك منشأ كل ما آتيه الآن سراً، منك روحي، منك لحمي، منك عظامي.

٣– فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذا اعتبر مجرماً يوم أقف أمامك يوم الدين؟ ولماذا تحيق بي المصائب عند محاكمتي الهائلة أمام جلالتك الربانية ولا أجد حولي من يدافع عني؟

عصر الخيام

نأش عمر الخيام في عهد الدولة السلجوقية الكبرى التي بسطت سلطانها على خراسان والري والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز وهو يقابل العصر العباسي الرابع أو القرنين الأخيرين من الدولة العباسية، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ.

وقد أسس هذه الدولة ركن الدين أبو طالب طغرل بك، ودامت حياتها ٩٣ سنة من سنة ٤٢٦ إلى ٥٢٢هـ وانقرضت على يد شاهات خوارزم، وقد حكمها ثمانية سلاطين. هم: طغرل بك، وألب أرسلان، وملكشاه، ومحمودن وبركياروق، وملكشاه الثاني، وأبو شجاع مُحَّد، وأبو الحارث سنجر. وقد عاش الخيام في كنف هذه الدولة فقربه سلاطينها. منهم ألب أرسلان الذي أنعم عليه براتب سنوي يبلغ (١٢٠٠) مثقال من الذهب، وملكشاه الذي عهد إليه أمور الرصد فرتب له الخيام "الزيج الجلالي" وكان ينزله منزلة الندماء ويجلسه معه على سرير واحد.

الوضع السياسي

كانت الخلافة في هذا العهد ضئيلة السلطان، وكان نفوذ الخلفاء لا يتجاوز أبواب قصورهم، ولم يكن لهم من الأمر سوى ذكر أسمائهم على

المنابر، وكانوا كالألة الصماء في يد سلاطين آل بويه، وفي عهد عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه في بغداد وزالت هيبتهم من القلوب، وفيه استولى السلاجقة على بغداد، وفيه ظهرت الطائفة الباطنية فأرعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصي على القلم تصويره، وفي عهده هز التعصب الديني أعصاب المسيحية في أوربة فنظموا الحملات الهائلة التي أطلق عليها اسم "الحملات الصليبية" فعاشوا في البلاد الإسلامية فساداً، وسفكوا الدماء البريئة، وخربوا المدن للاستيلاء على أورشليم "القدس" وفي عهد بسط السلاجقة سلطانهم على البلاد الإسلامية إلا بعضها فكان في الأندلس والمغرب الأقصى دولة الملثمين، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين (٤٨٠-٥٠٠هـ) ثم من بعده علي إلى سنة ٥٣٧هـ وفي أفريقية من آل زيري تميم بن المعز بن باديس إلى سنة ٥٠١هـ، ثم يحيى بن تميم إلى سنة ٥٠٩هـ، ثم علي بن يحيي إلى سنة ٥١٥هـ.

وفي مصر من الفاطميين المستعلي أبو القاسم أحمد بن المستنصر معد إلى سنة ٤٩٥هـ، ثم الأمر بأحكام الله على المنصورين المستعين إلى سنة ٥٢٤هـ وفي زبيد من الدولة النجاحية الأمير بن نجاح إلى سنة ٤٩٨هـ، ثم فاتك ين جيش إلى سنة ٥٠٣، ثم منصور بن فاتك إلى سنة ٥١٧هـ.

وفي صنعاء ومهرة ظهر الأمير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢هـ إلى سنة ٥٠٢هـ، ثم عبد الله بن حاتم إلى سنة ٥٠٤هـ، ثم معن بن حاتم إلى سنة ٥١٠هـ، ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص.

وما عدا ذلك من البلدان الإسلامية في آسية كان محكوماً بدولة السلاجقة[١٥].

ظهور الدولة السلجوقية

يبتدئ حكم آل بويه سنة ٣٣٤هـ وينتهي سنة ٤٤٧هـ، وهم من الديلم وقد حكموا البلاد ولقبوا أنفسهم بالسلاطين، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم. اغتصبوا السلطان من الخفاء العباسيين واستولوا على شؤون الدولة، وفي منتصف القرن الخامس الهجري ضعف نفوذهم وتفرقت كلمتهم واضطرب أمرهم فلم يكن في وسعهم أن يحفظوا بغداد من الطوارئ وأن يدفعوا عنها الملمات واتفق أن حدث يومئذ حادث كان سبباً في زوال ملكهم وتمزيق شملهم، وذلك أن أبا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري –وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة– أراد أن يزيل الخلافة عن بني العباس فكتب إلى الخليفة المستنصر العلوي بمصر ليدخل في طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد فعلم الخليفة القائم العباسي بذلك فكتب إلى السلطان طغرل بك يستنجده[١٦] ويستغيث به فهب طغرل بك وكتب إلى الأمصار أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوي صاحبها، وكاتب أصحابه بالدينور قرميسين وحلوان وغيرها، فأمرهم بإعداد الأقوات والعلوفات فعظم الأرجاف ببغداد، ولما وصل طغرل بك إلى حلون وانتشر أصحابه في

(١٥) تاريخ الخضري.

(١٦) الفخري ٢١٥.

طريق خراسان أرسل طغرل إلى الخليفة يبائغ في إظهار العبودية والطاعة ويعد الأتراك المقيمين في بغداد بالإحسان والجميل، فاجتمعت كلمة الرؤساء والأمراء على مكاتبة طغرل بك: يبذلون له الطاعة والخطبة، فأمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد، فخطب له في يوم الجمعة ٢٢ المحرم ٤٤٧هـ ودخلها في الخامس والعشرين منه، وعندئذ قبض على آخر سلاطين بني بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهي دولة السلاجقة، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب أرسلان، وفي عهده أسس وزيرة نظام الملك رفيق الخيام في المدرسة وطالب العلم –المدرسة النظامية ببغداد[١٧] فتم بناؤها سنة ٤٥٨هـ، وملكشاه الذي اتسع ملكة اتساعاً عظيما فخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحملت إليه ملوك الروم الجزية. وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب، موفور الكرامة، في كنف هذين السلطانين، وكان محبوباً لديهما، وقد أنعم عليه الأول براتب سنوي، وكان الثاني ينزه منزلة النديم.

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التي حدثت في عهد عمر الخيام، وأشرنا إليها في الكلمة السابقة "الحروب الصليبية" تلك الحادثة التي كان لها الأثر العظيم في الأقطار الإسلامية. وليس من قصدنا أن نتبسط في شرحها في

(١٧) اقرأ تفصيل البحث في مهذب تأريخ مساجد بغداد للألوسي والأثري.

كتابنا هذا فإنها حوادث عصور استمرار أمرها من سنة ٤٩٠ إلى ٦٩٠ هـ وإنما نريد أن نمر بها على سبيل الاستطراد لأجل أن نتبين الوضع السياسي في عهد الخيام.

اشتبك نصاري الغرب مع المسلمين في حروب دامية دامت قرنين اشترك فيها من الدول الإسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الأتابكية التي تفرعت عن السلاجقة ودول الأيوبية ودول المماليك البحرية بمصر، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتي في تعليل هذه الحملات وأسبابها مما هو مذكور في كتب التاريخ. وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين واستولوا على معظم المدن الواقعة في الأنضول والشام وأسسوا فيها إمارات سميت بالإمارات اللاتينية. منها إمارة الرها بوادي الفات سنة ٤٩٠هـ ثم أنطاكية سنة ٤٩١هـ، وقد ارتكب الصليبيون من الجرائم مالا ترتكبه الوحوش الضارية ولا سيما عند فتح بيت المقدس، وقد ناضل المسمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيداً عدا الخلفاء الفاطميين الذين قصروا عن أداء هذا الواجب لأسباب ذكرها الكتبة والمؤرخون.

هذه الحوادث هي أهم الحوادث السياسية التي حدثت في حياة عمر الخيام، وهي تتلخص في أربعة وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية أعني الحشاشين. وقد أوجزنا في بيان الثلاثة الأولى، وبقي علينا أن نذكر شيئاً عن الباطنية الحشاشين.

الأسماعيلية- الباطنية

من أفظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين. واضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم "الحسن بن الصباح" ولم يكن الحسن هو المؤسس الأول لهذه الطائفة الجهنمية وإنما بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها بعد أن خمدت مدة قرنين، وكان في بادئ أمرها تسمي الإسماعيلية ثم سميت بالقرامطة، وأخذت طوراً مهما في عهد حسن المذكور، وإليك تفصيل ذلك. لما مات الإمام جعفر بن مُحَّد الصادق ادعي فريق من المسلمين بان الإمام بعده إسماعيل نصاً عليه باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من يقال أنه لم يمت إلا أنه ظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع القهقري، والفائدة بالنص بقاء الأمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره. فالإمام بعده إسماعيل مُحَّد بن إسماعيل، هؤلاء يقال لهم المباركية، ثم منهم من وقف على مُحَّد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم الباطنية(١٨) .

القداح وقرمط وكان لجعفر بن مُحَّد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق(١٩) أنه هو المؤسس الأول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم مُحَّد بن الحسين الملقب

---

(١٨) الملل والنحل للشهر ستاني (ص١٢٧-١٢٨).

(١٩) ص ٢٦٦.

بذيذان وذلك في سجن وإلى العرق، غيران ابن النديم يذكر في فهرسته[٢٠] أن الداعية الأول هو عبد الله بن ميمون المذكورة وهو من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز. والصحيح هو مادكر ابن النديم فميمون لم يؤسس الباطنية وإنما أسس الفرقة التي عرفت باسمه وهي "الميمونة" التي أظهرت أتباع أبي الخطاب مُحَمَّد بن أبي زينب الذي دعا إلى الوهية على ابن أبي طالب، وكان ميمون وابنه عبد الله ديصانيين[٢١] وكان عبد الله ذكي الفؤاد عالي الهمة ملحداً يطمح إلى الرياسة والأمرة على الناس، فبث لدعاة في أنحاء البلاد سراً ولا سيما في الكوفة، فأجابه في هذا الموضع جل يعرف بحمدان بن أشعث، ويلقب بقرمط لقصر كان في متنه واسقه أو لقرمطة في خطه أو خطوه، وكان هذا أكاراً من أكرة سواد الكوفة في قرية يقال لها "قس بهرام" وأقام قرمط بكاواذي، ونصب له عبد الله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك في سنة ٢٦١هـ، ثم ظهر بعده في الدعوة إلى الباطنية أبو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين، ثم قال بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه وقال لأتباعه "أنا عبيد الله بن الحسن بن مُحَمَّد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق" ثم ظهرت فتنة بالمغرب، وظهر منهم المعروف بابن كروية بن مهروية الدنداني، وكان من تلامذة حمدان قرمط، ثم ظهر منهم مأمون أخو حمدان قرمط في فارس، ودخل رجل منهم أرض الديلم يعرف بأبي حاتم فاستجاب له جماعة

(٢٠) ص٢٦٧ خط.

(٢١) الملل والنحل للشهرستاني ١٩٤.

من أهلها.

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص٢٦٨) أن الدعوة الباطنية انتشرت أولا في زمان المأمون والمعتصم، وأن الأفشين قائد جيوش المعتصم دخل في دعوتهم، وأن بابك الخرمي كان من مقتفي هذا المذهب.

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات وفعلوا أموراً تقشعر منها الأبدان، وبقول يعيشون في الأرض فساداً إلى سنة ٣١٢هـ فقد ظهر في ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن فهجم على البصرة واغتصبها ثم قطع طريق الحجاج وسبي الحرم والذراري وفي سنة ٣١٧هـ دخل مكة وقتل من وجده في الطواف، وقيل أنه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة، وأخرج منها ٧٠٠ بكر، اقتلع الحجر الأسود وحمله إلى البحرين، وفي سنة ٣١٨هـ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهب ريحهم إلى أن ظهر منهم الحسن الصباح الذي تعلم مع عمر الخيام ونظام الملك في نيسابور، فكان المؤسس الثاني لهذه الطائفة التي جعلها فيما بعد دولة توارث السلطان عليها أولاده في قلعة "الموت".

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية، ويؤيد ذلك أنهم أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات، ظهر منهم رجل

يعرف بابن ابي زكريا الطامي سنة ٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع من أطفأ ناراً بيده وبقطع لسان من اطفأها بنفخة، فنكاح البنات والأخوات والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية. أما كونهم من الدهرية فلأنهم يرفضون المعجزات، وينكرون الوحي، ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد بالحشر والمعاد وغير ذلك، ومما يؤكد قولنا ما جاء في الرسالة التي بعثها عبيد الله ابن الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي فقد أوصاه فيها وصية قال فيها:-

"أدع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه. وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم، فمن أنست منه رشداً فأكشف له الغطاء، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا، وأنا وإياهم مجمعون على أن نواميس الأنبياء... وعلى القول بقدم العالم لو لاما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبراً لا يعرفه، وذكر في الكتاب أبطال القول في المعاد والعقاب. وذكر فيها أن الجنة نعيم الدنيا، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

وقال فيها أيضاً: "إن أهل الشرائع يعبدون إلهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم، وأكرم الدهرية فإنهم منا ونحن منهم!!".

وقال فيها أيضاً: "إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة

والزبور والإنجيل، وبدعوتهم إلى أبطال الشرائع، وأبطال المعاد والنشور من القبور، وأبطال الملائكة في السماء، وأبطال الجن في الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قيل آدم بشر كثير فإن ذلك عوز لك على القول بقدم العالم. وينبغي أن تحيط علماً مخاريق الأنبياء ومناقضاتهم.

وقال في آخر رسالته: وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي!! ولو علم الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي!! ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الآلة الذي يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار!!

حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك أموالهم بقوله: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي" فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بدل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها، وهل النار أو عذابها، إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعبد والنصب في الصلاة والصياح والجهاد والحج!!.

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور: "وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس فهنيئاً لكم ما ثلتم من الراحة من أمرهم".

وبعد فهذه الرسالة وحدها كافية للتدليل على أن أصحاب هذه الطائفة إباحية دهرية ملحدة، هدامة لأرقي النواميس الاجتماعية التي نشرها الأنبياء المصلحون.

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين في الدعاية، لهم أساليب خاصة بهم في أمر الدعوة فكانوا لا يفاجئون الذين يدعونهم إلى نحلتهم بأسرارهم وإنما يندرجون معهم فيكلمون العامي بطريقة تختلف عن الطريقة التي يكلمون بها العالم جرياً على قاعدة "كلم الناس على قدر عقولهم" فأحدثوا مراتب الدعاية، وهي التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالإيمان والعهود، والخلع والسلخ. فيشرع الداعية في تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل إلى مرتبة الخلع والسلخ وهي الدرجة الأخيرة التي يصبح بها الباطني ملحداً بحتاً، وبها هدم الاعتقاد والأديان المنزلة، وهناك صفات يجب أن يتصف بها الداعية لبث الدعوة[٢٢].

وقد كتب دعاتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس لتنفيذ أغراضهم وبث مبادئهم، ومنها ما لا يجوز الاطلاع عليه إلا بعد أن تمر على الباطني مدة لا تقل عن أربع سنين. فمن كتبهم كتاب الوحي والدولاب، وكتاب الحدود والإسناد، وكتاب اللامع، وكتاب الزاهر، وكتاب الميدان، وكتاب النيران، وكتاب الملاحم، وكتاب المقصد، ولهم البلاغات السبعة، وهي:

---

(٢٢) الفرق بين الفرق ص٢٨٤.

كتاب البلاغ الأول للعامة، وكتاب البلاغ الثاني لمن هم فوق هؤلاء قليلا، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل في المذهب سنة، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل في المذهب سنتين، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل في المذهب ثلاث سنين، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل في المذهب أربع سنين، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر وفيه أمر عظيم من إباحة المحظورات والوضع آمن الشرائع وأصحابها [٢٣] وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي وغيرها، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب فلم أظفر بتأليف أو رسالة مما كتبوه ويظهر أن كتبهم أبيدت وأحرقت بعد زول أمرهم.

هذا مجمل ما فصله القوم عن ظهروهم وحركتهم وتعاليمهم، وذلك قبل ظهور الداهية الأكبر الحسن الصباح.

مبادئ الباطنية الشائعة في عصر الخيام

دار الحكمة

في منتصف القرن الرابع الهجري زحف القائد الكبير جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي بجيوشه إلى مصر وانتزعها من الأخشيديين وأسس فيها القاهرة، وبعد بضع سنين دخلها المعز وأعلن نفسه خليفة المسلمين فيها وأسس فيها الدولة الفاطمية، وكان النظام الإداري فيها

(٢٣) الفهرست لابن النديم ص٢٧١ خط.

غريباً في بابه إذ كانت المهمة الأولى المعني بها هي بث الدعاية للدولة المذكورة لذلك أحدثوا وظيفة "داعي الدعاة" وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ودرجته تلي درجة قاضي القضاة، وكان الدعاة يتلقون المبادئ من مصر ثم يتركونها إلى الأقطار الإسلامية متبعين منهاجاً مسنوناً، وفي زمن الحاكم بأمر الله لذي تولى الحكم بعد أبيه المعز سنة ٣٨٦هـ نشطت الدعاية واتسعت في البلدان اتساعا عظيما. وكان الحاكم مضطرب الرأي عصبي المزاج، شاذا في أطواره وأخلاقه، سفاكا للدماء قتل عدداً كبيراً من أماثل أهل دولته، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه، فكان تارة يأمر بسبب الصحابة، وطوراً يأمر بضر من يرتكب هذا المنكر، وأمر مرة بقتل الكلاب، ونهي عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذي لا قشر له والعنب، وقد لاقي النصارى واليهود منه ألوان العذاب خلال حكمه. وقد وصفه ابن خلدون في تاريخه (ج٤ ص٦٠) "بأنه كان مضطرباً في الجور والعدل والإخافة وإلا من والنسك والبدعة" غير أن الذي يهمنا من سيرة الحاكم بأمر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية بإعداد الوسائل تنظيم المناهج بتأسيس (دار الحكمة) في مصر.

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هي الأسس والأوضاع التي وضعها عبد الله ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وتتضمن التعاليم التي بثها الدعاة في عهد الباطنية الأولى والتي ذكرت في رسالة القيرواني إلى سليمان ابن الحسن، وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور وتمكين فكرة الإلحاد

في قلوب الناس. وكانت درجات الدعاية في دار الحكمة تسعاً وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التي كانت سبعاً فقط، ولكن الغاية كانت واحدة وهي هدم الدين الإسلامي ليس غير.

المؤسس الثاني

هو الحسن بن الصباح الذي ولد حوالى سنة ٤٣٠هـ وكان قد تلقي علومه على الإمام موفق النيسابوري مع عمر الخيام ونظام الملك الوزير في نيسابور، وكان يدعي أنه ينتمي إلى "يوسف الحميري" أحد أمراء اليمن، وكان يقول أن والده جاء من الكوفة إلى قم ومنها إلى الري إلا أن أهالي طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون أن والده —واسمه "على"— هو من أحدي قرى خراسان، ولعل الصباح جده أو لقب أبيه.

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذي تعاهدوا على انفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون في نيسابور، فرحب به نظام الملك وقدمه إلى السلطان ملكشاه وعينه كبير الحجاب إلا أن الحسن العالي الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا المنصب فقد سولت له الجشعة الإيقاع بمن أنعم عليه وأكرمه فأخذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير، واتفق أن ملكشاه طلب يوماً إلى نظام الملك أن يقدم له الموازنة فاستعذره نظام الملك وطلب إليه أن يمهله سنة واحدة فلما بلغ ذلك حسن الصباح قابل الملك ووعده بأنه سوف يقدم له الموازنة بعد أربعين يوماً وقد فعل ذلك وقام بما وعد به

خلال الأجل المضروب، فأحسن نظام الملك بالدسائس الي يدبرها الحسن فعمد إلى الحية للتخلص منه فأخفي أوراقاً سرية تعود إلى الدولة. ولما طلع السلطان على الأوراق وجد فيها نقصاً فوبخ حسناً ووجد عليه، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب إلى أصفهان واختفي عند رجل يسمى (أبا الفضل) وفي مدة بقائه عنده كانت تظهر عليه حالات عصبية وانفعالات نفسية وقد قال ذات يوم لأبي الفضل "لو كان لي صديقان صادقان صادقان لقضيت على حكومة هذا التركي وهذا القروي" يريد بالأول لملك وبالثاني. وزيره نظام الملك، فأيقن أبو الفضل بوجود اضطراب عقلي فيه فكان يعطيه المخدرات الروحية والمشروبات المسكنة وقد مر على هذا الحديث عشرون عاماً توفي خلالها ملكشاه زمان نظام الملك بطعنة باطني، واشتهر أمر حسن وكانت له الرياسة، فقال لصديقه أبي الفضل في قلعة "الموت": من كان منا مجنوناً يا أبا الفضل؟ أأنت أم أنا؟ من الذي كان قميناً بأن يأخذ المشروبات والمخدرات التي كنت تتفضل على بها في أصفهان؟ أرأيت كيف نفذت كلمتي عند ما وجدت صدقين صادقين[٢٤].

ثم هجر الحسن أصفهان وشد الرحال إلى مصر فلاقي حفاوة من الخليفة المستنصر، ثم انخرط في سلك المحفل السري وتعلم المبادئ الإسماعيلية، وبعد أن تشربت روحه بهذه الأفكار قفل راجعاً إلى فارس وأخذ يبث لدعوة في نواحي خراسان فأتبعه الرعاع فقادهم فاستولي أولا على قلعة في نواحي الديلم يقال لها "الرذبار" وكانت هذه القلعة لقماح

---

(٢٤) تاريخ الإسلام لدوزي (ج ص ٣٩١).

صاحب ملكشاه فأخذ من الباطنية ألفاً ومئتي دينار وسلم القلعة في سنة ٤٨٣هـ هو ذلك في أيام ملكشاه ثم استولى الحسن على قلعة "الموت" وتحصن بها هو وأتباعه، وأسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١١٨ سنة وحكمها (ثمانية) أشخاص من أولاده وأحفاده.

تعاليم ابن الصباح

تتلخص تعاليم ابن الصباح فيما يلي:

(أ)- الدعوة إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بأن لها أماماً وليس لغيرهم أمام.

(ب) ضرورة استعمال العقل في معرفة الله والنظر إلى جانب تعاليم المعلم الصادق.

(ج)- والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصادق فالأولى ترى الاستعانة في معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخصيه ثم التعلم منه، وقالت الثانية بالأخذ في كل علم من معلم وغير معلم. فالحق مع الفرقة الأولى فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين.

(د)- بالاحتياج عرفنا الإمام وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أي واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائز.

(هـ)- إن في العالم حقاً وباطلا وأن علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة، وأن الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع

الجماعة والجماعة مع الإمام والرأي مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها.

(و)- التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً، والنبوة هي النبوة والإمامة معاً حتى تكون نبوة.

وقد منع الحسن العامة عن الخوض في المعلوم وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف كيفية الحال[٢٥].

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعية الجهنمية سبعاً بدلا من تسع وهي لا تختلف في الجوهر عن مراتب محفل "دار الحكمة".

الرئيس

ويسمى السيد أو شيخ الجبل، وهو كبير الطائفة الأعلى وبيده الحل والعقد وله الأمر والنهي.

الدعاة

وهم الكبار المقدمون ومقامهم في ثلاث ولايات توجد فيها أمنع القلاع الطائفة وهي بلاد الجبل وقهستان والشام، وهؤلاء يتلقون أوامرهم من الرئيس وينفذون أوامره السامية.

---

(٢٥) الملل والنحل للشهر ستاني (ص١٤٧-١٥٢) وقد ذكر المؤلف أن هذه الفصول كانت أعجمية فترجمها.

الرسل

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاة والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفاء مبادئ الطائفة.

الرفاق

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادئ السرية.

الفدائيون

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء.

المبتدئون

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الأولية.

العامة

وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب إليها، وعلى العامة في فتح القلاع ومهاجمة البلدان[٢٦].

الحشيشة

علمنا مما تقدم أن الدرجة العليا هي درجة الرئيس أو السيد أو شيخ الجبل، الدرجة الدنيا هي درجة العامة ومنها يترقى إلى درجة التلميذ ومنها إلى درجة الفدائية، وفي هذه الدرجة يكون الباطني عضواً صميماً يعتمد

---

(٢٦) دوزي ص٣٩٧ ترجمة الدكتور عبد الله جودت.

عليه في إدارة شئون الطائفة ولا يرقي أحدا هذه الدرجة إلا إذا كان شديد البأس كثير الطاعة فإذا أنس الرئيس من أحدهم استعداداً ولم وليمة فاخرة له وناوله أثناء الطعام نباتاً مسكراً من نوع "الحشيشة" حتى إذا فعلت الحشيشة فعلها أمر بنقله إلى جنة غناء قد غرست على حافات جدا ولها أطيب الفواكه وأنضر الزهر واورد، ونصبت في أحواضها الفوارات، وأقيمت فيها الرواشن والغرف الصينية، وفرشت المظللة بأفخر الديباج وأثثت بالرياش النفيسة، وهناك في تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحسان بأكواب الخمر وأباريقها، ويضربن على رأسه بالآلات الموسيقية ذات النغمات الشجية، ثم ينقل فوراً إلى المكان الذي فيه الرئيس وعند صحره يخبره الرئيس بأنه لم يبرح مكانه وأنه أمر روحه أن تطوف بالفردوس فيندهش الفتي مما رآه، وعند ذلك يجعل نفسه طوع إرادة الشيخ طمعاً بالجنة "يكون بعده آلة صماء يديرها كيفما يشاء، ولكي تعرف إطاعة الفدائي للرئيس انقل لك القصة الآتية(٢٧): ارسل ملكشاه السلجوقي بوماً رسولاً إلى الحسن بن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده أن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه –والرسول يشهد ذلك– أريد أن أنفذكم إلى مولاكم في حاجة فمن ينهض له؟ فاشرأب كل منهم لذلك، فاومأ إلى شاب منهم وقال له: اقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته فبحر ميتاً أو قال لآخر: ارم بنفسك من القلعة! فألقي نفسه فتمزق! ثم التفت إلى رسو السلطان ملكشاه فقال له: اخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفاً

(٢٧)فقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص١١٧.

هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب!!

النتيجة

ولبث الحسن في قلعة (الموت) حتى توفي فيها سنة ٥٢٠ أو ١٨هـ على رواية دوزي بعد أن حكمها (٣٥) سنة وقد اتفق الباحثون على أنه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة، عالماً في الفلك والهندسة، متضلعاً من الآراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس، قاسي القلب دساساً فتاكاً وقد توارث الحكم على الموت أبناؤه إلى سنة ٦٥٠ حيث قضى على الطائفة المذكورة هلاكو التاتاري وبها انطوت اشنع صفحة في التاريخ الإسلامي.

وبعد فإننا لم نذكر هذه الأبحاث بالإسهاب إلا لأننا نبغي أن نبرهن بأن عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية في عصره وأن له اتصالا قويا بهم وتكاد يجزم بأنه كان داعية من دعاتهم، وسنوفي هذا المطلب حقه في بحثنا عن آرائه ومعتقداته.

عصره العلمي

علمنا مما تقدم بأن العصر الذي عاش فيه الخيام كان عصراً بجيش بالأحن والفتن والحروب الدموية، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون الكيان الإسلامي من جهة، والباطنيون من جهة أخرى يدبرون المكايد والدسائس لهدم الإسلام ويبثون الدعاة لنشر الإلحاد بين طبقات المؤمنين، وأن الكلمة العليا فيه كانت للسيف.

والآن نريد أن نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم في ذلك العصر. والذي يبحث ليسبر غور العصر الذي كان فيه الخيام يتبين أن أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هو تأسيس المدارس في العالم الإسلامي، فقد مرت أربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ذات مناهج مقررة وأنظمة مسنونة إذ كانت العناية متجهة في هذه القرون الأربعة إلى إنشاء المكاتب...

المدارس

أما في عصر الخيام فقد كثرت المدارس وأشهرها مدرسة ابزفورك المتوفي سنة ٤٠٦هـ[٢٨]، والمدرسة البيقهية للبيهقي المتوفي سنة ٤٥٠هـ، والسعيدية التي بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزيزي، ومدرسة أخرى بناها إسماعيل الاسترابادي الصوفي الواعظ، وأخرى بنيت للأستاذ أبي إسحاق[٢٩] غير أنه لم يكن لهذه المدارس ما للمدارس النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير من الأنظمة والمناهج.

المدارس النظامية

هي المدارس العظيمة التي أسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن. وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وفتحها سنة ٤٥٩هـ، وعين لها المدرسين من

(٢٨) ابن خلكان (ج١ ص٤٨٢).

(٢٩) السيوطي (ج٢ ص١٨٥).

أجله العلماء في عصره مثل أبي إسحاق الشيرازي، والإمام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل، والإمام الغزالي، وأبي القاسم الدوسي، والشاشي، والكياهراسي، والسهزوردي، وكمال الدين الأنباري، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠,٠٠٠ دينار في السنة، وقيل إن هذا الإنفاق كان سبباً لقتله، ولكن دوزي يرى أنه قتل بطعنة باطني. وقد وشي به بعضهم إلى السلطان ملكشاه إذ قالوا له "إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك يقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية، فعاتبه ملكشاه في ذلك فأجابه. يا بني أنا شيخ أعجمي لونودي على في "من يزيد؟" لم أحفظ خمسة دنانير، وأنت غلام تركي لو نودي عليك حساك تحفظ ثلاثين ديناراً، وأنت مشتغل لذاتك، منهمك في شهواتك، وأكثر ما يصعد إلى الله معاصيك دون طاعتك، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب، إذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان، وقوس لا ينتهي مدى مرماها إلى ثلثمائة ذراع، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين يدي ربهم فأرسلوا دموعهم، واطلقوا ألسنتهم، ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون.

مقاومة علماء الإسلام للباطنية

ومن مميزات هذا العصر نهضة العلماء والمفكرين لمناوأة الباطنية

وطعن تعاليمها وإظهار سخف مبادئها وتحذير الناس من سمومها، والباطنية لم تنتشر تعاليمها بقوة السيف فقط وإنما توسلت بالدعاية والإقناع والحجاج أيضاً، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم وولائهم، لذلك كان لزاماً أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادئ بأقلامهم، فكان القاضي أبو بكر الباقلاني أول من أشهر عليهم الحرب فألف كتاباً سماه (كشف الأسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم، ثم تلاه أبو الفتح مُحَمَّد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكرة أحمد الشهر ستاني المتوفي سنة ٥٤٨هـ فجادلهم مبيناً بطلان مذهبهم، ثم أعقبه ابن حزم الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦هـ، ولم يقصر في رد كيدهم إلى نحورهم، ثم جاء بعد هؤلاء حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وكتب رسالة في (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والإسماعيلية وغيرهم من الطوائف الباطنية والبدع في الإسلام، والرسالة محفوظة في المتحف البريطاني الآن، وقد أطلق الرازي فخر الدين لسانه الذرب طاعناً بهم من فوق المنابر، وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفاً على حياته[٣٠].

وفي الحقيقة أن أقلام هؤلاء الفطاحل قد أعانت السيف في القضاء عليهم.

الخلاصة

تبين مما اجملناه أنه –بالرغم عن الفتن والحروب الكثيرة التي حدثت في عصر –الخيام كان لدولة العلم رايات مرفوعة، وللعلماء مكانة عالية في

(٣٠) روزى (ص٣٩٩).

القلوب، وكان تهافت الناس على المدارس عظيما، ويكفي أن نذكر للتدليل على ازدهار العلم في العصر لخيامي أنه قد نشأ في ذلك العصر ما ينيف على ثمانين ومئة فحل بين شاعر، ومنشى، ولغوي، ومؤرخ ومترجم للجماعات، وجغرافي، ومؤلف في السير والسياسة والإدارة والطب وغير ذلك من العلوم.

روح هذا العصر

قدمنا أن عمر الخيام نشأ وعاش في عهد الدولة السلجوقية الكبرى، وأنه حدثت في عصره أربع وقائع كبيرة، وهي: وهي: سقوط الدولة البويهية، وقيام الدولة السلجقوية، ونشوب الحروب الصليبية، وتجديد الدعوة للباطنية وظهروها بشكل أوسع نطاقاً وأرهب شأنا.

هذا من الناحية السياسية، وأما الناحية العلمية فإن عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا إلى ذلك في بحثنا عن المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الوزير الشهير.

بقي عينا أن نعرف الروح السائد في ذلك العصر لأن في اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير في ذلك العصر. وفي الحق أننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك ما إذا كان الخيام يمثل عصره أو لا، وهل في الإمكان اعتباره نموذجاً من التفكير السائد يومئذ، أو هل كان لعصر الخيام من التهيؤ الكافي ليوجد شخصاً مثله أو لا، لا حتى لكان خياماً شاذ في عصره لا معرفة له به ولا قرابة بينهما في

الروح والعلم والتفكير كان يد الأقدار قذفته خطأ في هذا العصر!!

لا شك أن من الصعب جداً معرفة الروح السائد والوقوف على أسلوب التفكير على اختلاف ضروبه، والاطلاع على الميلو والرغائب والأخلاق والانفعالات النفسية، وبالجملة معرفة الصبغة التي اصطبغ بها ذلك العصر، لأن ذلك -فضلا عن افتقاره إلى درس طويل، وبحث عميق -تحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط، وقد لا تظهر من هذا الدرس الذي يقتضي وقتاً طويلا وجهوداً عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة، وقد لا يهتدي الباحث في بحثه وتدقيقه في صفحات هذا العصر إلى شيء من الحوادث والوقائع التي يصح أن تكون مقياساً لمعرفة روح العصر.

وغاية الباحث في هذه الحالة أن يفتش في بطون المؤلفات عن الشواهد والأمثال ليستخلص منها ما يمكن أن يعول عليه في إظهار الصورة الحقيقة للعصر الذي يدرسه ويبحث في الكيفية التي أوجدته، والظروف التي أحاطت به!

ومع ذلك فلست واثقاً بأن إيراد الأمثال والشواهد تكفي لتعريف الصبغة الغالية في ذلك العصر إذ قد تكون هذه الشواهد وهذه الأمثال من قبيل الآراء المنحولة التي تنتقل من حين إلى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب، أو من قبيل الحكايات والقصص المنحولة التي تتداولها الأفواه أما للإشادة بفضيلة شخص، وأما للحط من كرامته وشرفه، وهي

عوائد متعارفة في كل زمان وكل مكان.

ومن الواضح أن الخرافات والأساطير تكثر وتعيش طويلا في المدن التي فيها مزارات ومشاهد دينية تؤمها الناس في أوقات معلومة وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الأساطير غير أن حياتها قصيرة، ظروفها ضعيفة فهي لذلك لا تكون عقيدة لدي الأمم لأنها مشيدة على أساس التخيل والوهم، فلا يجوز للباحث والمؤرخ أن يعتد بها أو يجعلها أو يجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور، ويجب أن لا يبرح عن بالنا أن قابلية التخيل في الإنسان شديدة وأن الإنسان ميال بطبعه إلى المبالغة فإن حديثاً يتداولونه عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها.

جئت بهذه الكلمة تبرئة لاستغرابي جرأة الأديب المصري السيد زكي مبارك إذ أصدر حكمه على العصر الذي أبحث فيها الآن بأنه عصر تغلب عليه صبغة السذاجة[٣١] وقد استدل على هذه السذاجة التي يتخيلها بالقصة التي ذكرها المرخ خواندمير مؤلف كتاب روضة الصفا، وهي من وصايا الوزير نظام الملك، وتتلخص في "أن والده كان قد أرسله مع الفقيه عبد الصمد إلى نيسابور ليقرأ على الإمام موفق النيسابوري وكان السائد في عقيدة أهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها وبلغ الغاية وإنساق إلى العز والجاه والنعمة والثراء.... إلى آخر القصة؟!

(٣١) ألف هذا الأديب كتابا بعنوان "الأخلاق عند الغزالي" وعصر الغزالي هو عصر الخيام وقد ذكرنا اجتماعهما وتحاورهما في قضايا علمية.

وبعد أن أورد القصة برمتها علق عليها بأن "الذي يعنيه من هذه الحكاية هو أن يكون السائد في عقيدة أهل ذلك الزمان أن من قرأ العلوم العربية على الإمام الموفق نبغ فيها وإنساق إلى العز والجاه وتلك خرافة لا يسغيها غير ضعاف العقول وصغار الأحلام.

ولو تروى قليلا وبحث في صحة هذه الوثيقة وعدم صحتها لتبين أن هذه القصة قصة مهلهلة الجانب هزيلة الأركان قد نالت من الباحثين نقداً ومن العلماء طعناً وعدم اعتماد وثقة لأن نظام الملك الذي ذكر في هذه الوصايا خبر اجتماعه في نيسابور مع عمر الخيام والحسن الصباح وتلقيه العلوم في مدرسة الموفق النيسابوري ولد سنة ٤٠٨هـ وقد ثبت بأن الخيام قد توفي على المشهور سنة ٥١٧هـ والحسن بن الصباح توفي سنة ٣١٨هـ وعلى هذا يقتضي أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح مائة سنة أو يزيد. لذلك اعتبر الباحثون هذه الوثيقة ضعيفة مشكوكا في صحتها، وقد فات المؤلف الأديب أن الوثائق المشكوك في صحتها لا يصح أن يحتج بها أو يعتمد عليها لأن الشك إذا أسرى في جزء اشئ سرى في كله لا محالة.

وأن أعجب فسجي من الأساتذة الفطاحل الذين منحوا هذا الأديب لقب "الدكتوراه" من غير مناقشته في هذه الوثيقة.

ولنفرض أن هذه الوثيقة صحيحة لا شائبة فيها فهل يجوز يا ترى أن تعتبر كافية للاحتجاج بها على الصبغة الغالبة في ذلك العصر؟ أعتقد أنه لا

يجوز ذلك أبداً لأن مثل هذه الأساطير والخرافات موجودة في كل زمان ومكان. وإذا كان الأمر كذلك —وهو الواقع– فلا يسوغ لنا المنطق أن نحكم على كل العصور التي مرت بالبشر منذ فجر التاريخ إلى يوم الناس هذا بالسذاجة والبساطة.

وأعود فأقول أن من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذي وجد فيه عمر الخيام فإن من الصعوبة بمكان أن تصور اليوم حقيقة الروح السائد في العصر الذي نعيش فيه لاختلاف الميول والأهواء فيه فكيف بالعصر الذي تعاقبت عليه تسعة عصور؟

وإذا كان لابد من ذلك فإني أعتقد أنه يجب على الباحث في هذه الحالة أن ينعم النظر ويتأمل ملياً في أحوال الطبقات الثلاث التي يتألف منها الشعب، وهم:

١– الرعية أي جمهور الناس.

٢– الحكام وهم الملوك والوزراء والأمراء أرباب الحل والعقد.

٣– رجال الدين.

أما أمر الرعية وما كانت تشعر به فشيء غامض، فليس في أدي الناس وثائق ومستندات تاريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور في ذك العصر، والمؤرخون في ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها وإنما كانوا يعنونبتدوين وقائع الحروب وكيل المديح للملوك

والأمراء جزافاً، تزلفاً إليهم وتقرباً منهم، هذا ما كان من أمر الرعية.

وأما الحكام في عصر الخيام، وهم الملوك والأمراء والوزراء أولو الأمر والنهي والحل والعقد، فإن التاريخ –والعهدة عليه– يقص علينا أخباراً سارة عنهم، ويحدثنا حديثاً قد أكسبهم مجداً وفخراً، يقول التاريخ: إنهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا عليهم بجلائل الألاء ووسعوا عليهم الأرزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس والمراصد وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التي نالها عمر الخيام من ملوك السلاجقة وما ذاك إلا لأنهم قدروا فضله واحترموا علمه وأدبه.

وأما رجال الدين –وهم الذين يفرض عليهم الواجب الديني أن يكونوا قدوة صالحة ومثلا أعلي من حيث النزاهة والفضيلة والآداب ليقتفي أثرهم الناس –فإنا نرى أكثرهم في كل عصر وفي كل جيل حميلة على الدين وأدعياء فيه فكانوا بلية على الناس وقوة هائلة لتأييد الاستبداد ومقاومة الحرية الفكرية ومناوأة الأحرار ومعارضة التجديد والإصلاح وسيفاً مسلولا يهدد الأرواح وحرباً عواناً على كل حر يستعمل حقه الطبيعي في إبداء رأيه وإبراز فكرته، وقد لعب رجال الدين –وأقصد المزيفين الكذابين منهم طبعاً لا المصلحين الذين فدوا أرواحهم لخير الناس– لعباً عجيباً في الحياة الاجتماعية والسياسية. فقد أدخلوا أنوفهم فيما لا يجوز إدخاله وهددوا كل من لا ينزل عند رغباتهم بالطعن والتكفير، وكم أزهقوا أرواحا بريئة، وسفكوا دماء زكية بقصاصة تسمي في عرفهم

"فتوي" فهذه العصبة التي يتبرأ منها الدين –وهي ملتصقة به– على جانب عظيم من الحسد والنفاق والشقاق يأكل بعضهم لحم بعض ميتاً، وإذا لمع منهم وظهرت مواهبه وبرزت أخلاقه واقترن اسمه بالذكر الحسن حاربوه بالدس، ووصموه بكل ما هو شنيع، والصقوا به الرذائل والموبقات والذي ينعم النظر في حالة هذا النوع من رجال الدين في عصر الخيام يجدهم على جانب عظيم من سوء الخلق وفساد السجية والحسد والنفاق، وها أنا ذا أسوق شاهداً يدل على ما كان عليه هؤلاء من النقص في التهذيب وقلة المروءة.

كان شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري، وهو الإمام أبو اسماعيل عبد الله بن أبي منصور مُحَّد بن أبي معاذ على بن مُحَّد بن أحمد بن على بن جعفر بن منصور بن مقر الخزرجي الأنصاري الهروي الذي يتصل نسبه بأبي أيوب الأنصاري، من أجله العلماء والمحدثين في عصره، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة في زمانه غير أنه كان حنبلياً ميالا للتجسيم والتشبيه، وقد حسده رجال الدين في عصره ووجدوا عليه وأرادوا له الكيد والوقيعة به واتفق أن قدم هراة السلطان الب أرسلان السلجوقي والوزير نظام الملك فاجتمع رجال الدين في هراة واتفقوا فيما بينهم على أن يتقدموا إلى شيخ الإسلام بسؤال بسقطه من نظر الوزير، فلما اجتمعوا بالوزير، وكان شيخ الإسلام حاضرا، انبرى له أحدهم وقال ترى هل يسمح لي الشيخ الإمام أن أسأله عن قضية؟ فقالك سل ما بدالك!

قال له: لماذا تلعن أبا الحسن الأشعري؟

فسكت الشيخ، ولما كان نظام الملك أشعري المذهب أطرق، وبعد برهة قال: يا شيخ أجب الرجل، فقال شيخ الإسلام: "أنا لا أعرف الأشعري، غير أن ألعن كل من لا يعتقد بأن الله في السماء.

وفي رواية أنه لما جاء السلطان ألب لرسلان إلى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا في أيجاد سبب ينزلون به غضب السلطان على شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري، فقر رأيهم على أن يصنعوا صنماً صغيراً يخبئونه في محراب الإمام، وفعلوا ذلك، ولما حضروا بين يدي السلطان اكثروا الشكوى من الإمام وقالوا له: أنه قائل بالتجسيم وإذا أراد السلطان أن يوقن بصدق مدعانا فليأمر بإرسال من يأتي إليه بالصم من سجد الإمام! فغضب السلطان وأرسل في الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم، ثم أمر بإحضار شيخ الإسلام، فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد مشايخ البلد جالسين ووجد صنماً صغيراً أمام السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والألم!

فقال السلطان للشيخ: ما هذا؟

قال الشيخ: هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الأطفال!

قال السلطان: أني لا أسألك عن ذلك، إنما تزعم هذه الجماعة بأنك من عبدة الأصنام؟

فقال الشيخ: "سبحانك هذا بهتان عظيم" وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقة وإخلاصه.

فاعتقد السلطان براءة الشيخ وطهارة إيمانه، ولما تحقق الأمر علم أنها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين.

قلنا فيما سبق أن سلوك رجال الدين في عصر الخيام كان سيئاً فاسداً من الناحية الأخلاقية، وقد سردنا أمر حادثتين وقعتا في عصره، والذي ينعم النظر في رباعيات الخيام يجد الخيام متبرماً متذمراً منهم وقد حمل عليهم في رباعيته مشنعاً بهم، من ذلك قوله:

أي مفتي شهراز توير كار تريم

يا اين همه مستي زتو هشيار تريم

ماخون رزان خوريم وتوخون كسان

أقصاف بده كدام خو نخوار تريم

نحن يا مفتي المدينة أحسن منك عملا، ومع كثرة سكرنا هذا فإنا أصحى منك، نحن نشرب دم ابنة العنقود، وأنت تشرب دم الناس، فانصف فاينا شارب الدماء أي فتاكا

شيخي بزن فاحشة كفتا مستي؟

هر لحظة بدام ديكري بابستي

كفتا شيخا هرآنجه كوبي هستم

أما توجنا نجه مينمائي هستي؟

قال شيخ لمومس أنت سكري، وفي كل ساعة مربوطة بحبيب، قالت يا شيخ كلما قلته قي فهو صحيح لكن هل أنت أنت كما تظهر للناس.

ويظهر أنه كان للتصوف شأن لا يستهان به، وكان لأرباب هذه الطريقة –الدخيلة في الإسلام وهو منها براء– سيطرة هائلة على الشعب الأمر الذي حدا بالإمام أبي حامد الغزالي، وهو من معاصري عمر الخيام، أن يشد عليهم وأن يطعن في سلوكهم الذي دل في كل العصور على تقي مزيف وورع كاذب، وإليك ما كتبه الإمام عنهم:

"وفرقة منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ الزمان كافة إلا من عصمه الله عن الخطأ في بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفة، فاشتغلوا بالسخافات والشطح وتلقين كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للإغراب، وطائفة شغلوا بعبارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها وأكثر همهم الأسجاع والاستشهاد بإشعار الوصال والفراق، وغرضهم أن تكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل[٣٢].

هذا ما أردنا أن نأتي به لنلم بحالة العصر الذي وجد فيه عمر الخيام وقد فهمنا مما تقدم أن أمر الرعية كان مجهولا، وأن السلاطين والأمراء كانوا يناصرون العلم والعلماء، وأن حالة رجال الدين كانت سيئة، وأن عمر الخيام والإمام الغزالي قد وصفا هذه الطبقة وصفاً منطبقاً على الحقيقة والواقع.

---

(٣٢) أحياء العلوم.

شعراء عصره

الأبيوروي

هو مُحَمَّد بن أحمد الأموي الأبيوردي أحد تلامذة إمام الحرمين، وكان الأبيوردي يطمح إلى الخلافة ويرى نفسه قميناً بها وأنه أحق بها من سواه، وقد جر له هذا الطموح شقاء كثيراً أجبره على مغادرة بغداد فشد الرحال إلى همذان، فدرس وألف، ثم مات مسموماً فيها سنة ٥٠٧هـ وكان الأبيوردي قديراً على القريض. ومن شعره الذي شاع على الأفواه قوله:

تنكــر لي دهــري ولم يــدر أنــني — أعــز وأحــدث الزمــان تهــون
وبات يريني الخطب كيف أعتداؤه — وبـت أريـه الصبر كيـف يكـون

صردر

الرئيس أبو منصور على بن حسن الكاتب الشاعر المعروف بصردر توفي سنة ٤٦٥هـ، وكان شاعراً جيد السبك حسن المعني، وفي شعره طلاوة وجمال، ومن شعره في جارية سوداء[٣٣]

علقتهــا ســوداء مصــقولة — ســواد قلــبي صــفة فيهــا
مـا انكسـف البـدر علـى تمـه — ونــــوره إلا ليكيهــــا
لأجلهــا الأزمــان أوقاتهــا — مؤرخــــات بلياليهــــا

---

(٣٣) ابن خلكان ٣٥٩ "ج١".

الطغرائي

أبو إسماعيل الحسين بن علي المنشئ المعروف بالطغرائي نسبة إلى مهنته في أوائل حياته، والطغري، أو الطرة، هي نعوت السلطان الذي صدر الكتاب عنه، وتكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ. وكان بارعاً في الإنشاء حتى سمى فخر الكتاب، ونعت بالأستاذ، ولقب بالمنشئ، استوزره السلطان مسعود السلجوقي في الموصل وله ديوان شعر في مدح السلطان سعيد بن ملكشاه ونظام الملك الوزير واشتهر الطغرائي بقصيدته المشهورة:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدي العطل

وذكر أن له عدة مؤلفات في الكيمياء القديمة. وتوفي سنة ٥١٣هـ.

الباخرزي

أبو لحسن على بن الحسن من باخرزين نيشابور وهراة اشتغل في شبابه في الفقه الشافعي، ثم اشتغل بالكتابة، ثم اختلف إلى ديوان الرسائل وتقلب في المناصب، وسافر واغترب، ثم هوى الشعر وغلب أدبه على فقهه، فنظم الشعر، وهو ليس من طبقة الفحول المبرزين وأثر التكلف ظاهر على شعره، وله كتاب في تراجم شعراء عصره سماه دمية القصر جعله ذيلا ليتيمة الدهر للثعالبي وقد أهمل فيه تاريخ المواليد والوفيات والأحوال

وعني برصف الألفاظ[٣٤].

معاصروه من شعراء النموس

مسعود سعد سليمان

أصله من همدان، ومنشؤه في جرجان، ظهر في زمان السلطان إبراهيم الغزنوي واتهم بجريمة المؤامرة عليه فأوقفه وحبسه في قصر منيع يسمى (حصارناي) وبقي سجيناً في هذا القصر مدة (١٩) سنة، وقد حاول خلال هذه المدة أن ينال الشفاعة والعفو من السلطان فلم ينجح ونظم الشاعر مدة بقائه في السجن أشعاراً محزنة سماها "حبسيات" فمن شعره في السجن[٣٥] توفي سنة ٥٤٩هـ.

نالم زدل جوناي من أندر حصارناي

بستي كرفت همت من زين بلند جاى

أين من قلبي كالناي في (حصار ناي)، قد انحطت همتي في هذا المحل المرتفع.

آرد هواي ناي مرا ناله هاي زار

جزناله هايز ارجه رد هواي ناي

---

(٣٤) وقد طبع هذا الكتاب حديثا في حلب بعناية الأستاذ الطباخ.

(٣٥) سر أمدان سخن (ص٢٥١).

تسبب نغمات الناي لي أنيناً شجياً غير الأنين المشجي ماذا تولد نغمات الناي؟

عثمان مختاري

هو عثمان بن مُحَمَّد الغزنوي المعروف بالمختارى توفي سنة ٥٤٤هـ وله ديوان شعر وقد مدح ملوكا أربعة هم أرسلان بن مسعود، وسلطان غازي ثمين الدولة بهر امشاه، ومعز الدين أرسلانشاه، وأرسلان خان مُحَمَّد بن سليمان بن داود(٣٦).

مجدور السنائي

هو أبو المجد مجدود بن آدم السنائي الغزنوي العارف الشاعر المشهور توفي سنة ٥٤٥هـ(٣٧).

رشدي سمر قندي

أبو مُحَمَّد عبد الله أو عبد السيد رشيدي السمر قندي الشاعر كانت له مناظرات أدبية وشعرية مع الشاعر مسعود سعد سليمان المتقدم ذكره(٣٨).

---

(٣٦) حواشي جهاز مقالة ص ١٥٠-١٥٥.

(٣٧)حواشي جهاز مقالة ص ١٥٠-١٥٥.

(٣٨)حواشي جهاز مقالة ص ١٥٠-١٥٥.

اللامعي الدهستاني

أبو الحسن مُحَمَّد بن إسماعيل اللامعي الجرجاني الدهستاني من شعراء السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك[٣٩].

برهاني

هو أمير الشعراء عبد الملك النيشابوري توفي سنة ٤٦٥هـ في قزوين في أوائل سلطنة ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي[٤٠].

زعماء الحركة الفكرية في عصره

الغزالي

هو أبو حامد مُحَمَّد الغزالي ولد سنة ٤٥٠ وتوفي في سنة ٥٠٥هـ تلقي العلوم في طوس على العلامة أحمد الراذكاني ثم اختلف إلى دروس أمام الحرمين أبي المعالي الجويني في نيسابور وكان الغزالي نابغة عصره وله آراء في الدين ونظريات في الفلسفة والأخلاق وقد نال في حياته شهرة عظيمة وصيتاً كبيراً وكان في ابتداء أمره سوفسطائياً مرتاباً يميل إلى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين في سنة ٤٨٤ أستاذاً في المدرسة النظامية البغدادية فأحبه أهل بغداد وارتفع عندهم منزلته وقد قضي فيها

---

[٣٩]حواشي جهاز مقالة ص ١٥٠–١٥٥.

[٤٠]حواشي جهاز مقالة ص ١٥٠–١٥٥.

أربع سنوات مدرساً ثم حصل له تطور فجائي في عقائده فعاد زاهداً ناسكاً مؤمناً بالله وبقدسية أنبيائه وخلود النفس بعد أن كان كثير الإرتياب فترك بغداد مولياً ووجهه شطر بيت الله ثم زار الشام وألقي فيها الوعظ والدروس ثم انتقل إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة وأخيرا مال بكليته إلى التصوف وقراء كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة وأشهر عليهم حرباً عواناً في كتابه "تهافت الفلاسفة"[٤١] وألف التأليف النفيسة الجليلة التي دلت على قوة محاكمته وبعد نظره وصفاء ذهنه وأشهرها إحياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والمستصفي في أصول الفقه ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله والمقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسني ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنخول والمنخل في علم الجدل.

ثم عاد الغزالي إلى نيسابور وعلم في مدارسها وفي أواخر أيامه عاد إلى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس إلى أن انتقل إلى ربه.

وكانت مكانته العلمية جليلة في الأقطار الإسلامية وكان آية في الذكاء حافظاً للعلوم حتى لقبه الناس "حجة الإسلام" والغزالي عاصر الخيام وصادفه في بغداد وجرى بين الاثنين حوار على حول القراء وتعيين

---

(٤١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصراً للفلسفة.

جزء من أجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الأجزاء....

الشهرستاني

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهر ستاني الشهير وكنيته أبو الفتح واسمه مُحَّد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهر ستاني وكان إماماً مبرزاً فقيهاً عالماً بالأديان ضليعاً من أراء أصحاب المقالات تفقه على أحمد الخوافي وعلى ابي نصر القشيري وبرع في الفقه وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام واشتهر بتأليفه كتاب الممل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحيص الأقسام لمذاهب الأنام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠هـ وأقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث من على بن أحمد المديني بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني وذكره في كتاب الذيل وسأله ابن السمعان عن مولده فقال في سنة ٤٧٩هـ وتوفي بشهر ستان سنة ٥٤٨هـ ومما ينسب إليه:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك العالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

ولا أشك في أن الشهر ستاني كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام صلة به لاتفاق تلقيهما العلوم في مدينة واحدة وتقارب أعمارهما وقد طعن الناس في الشهر ستاني وأتهموه بالزندقة والمروق لاشتغاله بآراء الفلاسفة.

الشيخ أبو إسحق

كان إمام وقته في بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان في عنفوان شبابه قد تفقه على جماعة من الأعيان وصحب القاضي أبا الطيب الطبري وقد ألف كتباً مفيدة منه المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في أصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل ومن شعره.

سألت الناس عن خل وفي ... فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك أن ظفرت بذيل حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

توفي سنة ٤٧٦هـ وجلس أصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضي العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولي مكانه ولما بلغ الخبر نظام الملك كتب بإنكار ذلك وقال كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله وزرى على من تولي موضعه وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر عبد السيد بن الصباغ في مكانه.

إمام الحرمين

هو أبو المعالي عبد الملك الملقب ضياء الدين المعروف بإمام الحرمين وكان أوحد أهل زمانه في العلوم. تعلم في مدرسة البيهقي ثم سافر إلى بغداد وخرج إلى الحجاز وجاء بمكة أربع سنين ثم درس وافتي في المدينة فلهذا قيل له إمام الحرمين وفي أوائل سلطنة ألب أرسلان السلجوقي عاد

إلى نيسابور وتولي التعليم والخطابة في المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك في نيسابور وكان الشيخ أبو إسحق الشيرازي يقول له يا مفيد أهل المشرق والمغرب أنت اليوم إمام الأئمة وقد ترك مؤلفات هي ثروة عظيمة قد أحصاها ابن خلكان (ج١ ص٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩هـ ولما شاع خبر وفاته أغلقت الأسواق وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه وأكثروا فيه المراثي وكانت تلامذته يومئذ قريباً من أربعمائة واحد فكسروا أقلامهم ومحابرهم وأقاموا على ذلك عاماً كاملا وإمام الحرمين هو أحد أساتذة عمر الخيام.

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا في حياة الخيام وأدبه في تاريخ مولده ولم نعثر في كتب التراجم ولا في المؤلفات التي تعرضت له عن تاريخ ميلاده ويزعم أنه ولد في أواسط القرن الخامس للهجرة وقد استدل على ذلك بما ذكروه من الخلاف في تاريخ وفاته، فان رجع القول بأنه توفي سنة ٥٧هـ على ما ذكره صاحب كتاب مجمع الفصحاء[٤٢] ن

وقلنا أن الخيام عاش اثنتين وسبعين سنة كما يقول هو في إحدى رباعياته[٤٣] فيكون ميلاده في سنة ٤٤٥هـ وذلك بعد إخراج ٧٢ سنة من ٥١٧ سنة.

مركز دل من زعلم محروم نشد

كم ماند زا سراركه مفهوم نشد

هفتاد ودوسال عمر كردم شب وروز

معلوم شد كه هيج معلوم نشد

(٤٢) رضا قولي خان هدايت.

(٤٣) وهذه هي الرباعية.

ما حرم قلبي قط من العلم، لم تبق من الأسرار التي فهمتها إلا قليلا عشت اثنين وسبعين سنة ليلها ونهارها فعلمت أخيراً بأنني لم أعلم شيئاً أبداً.

وكما اختلف في تاريخ ميلاده فقد اختلف أيضا في تاريخ وفاته فإذا رجعنا إلى "جهار مقالة" وهي أقدم وأصح وثيقة لأن مدونها تلميذ الخيام وهو أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمر قندي نراه يقول أنه زار قبره في سنة ٥٣٠هـ وقد قيل له أن أستاذه قد توفي منذ أربع سنوات فعلى هذا يجب أن يكون قد توفي سنة ٥٢٦ هجرية.

اسمه ولقبه وكنيته

هو أبو الفتح غياث الدين عمر بن إبراهيم الخيام وقد سماه شمس الدين سامي بعمر الخيام ن مُحَمَّد وسماه واضع حواشي المقالات الأربع بعمر ابن إبراهيم كما سماه صاحب تاريخ كزبدة سنة ٧٣ وصاحب كشف الظنون فيكون ما ذكره شمس الدين سامي خطأ في ذكر اسم أبيه.

قال واضع حواشي المقالات الأربع وتسمية العرب بالخيامي والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشئ من تباين اللغتين، وكنوه أبا الفتح عملا بالسنة وإلا فإن الخيام حصور لم يتزوج على ما ذكره شمس الدين سامي وعلى ما اعتقد وكلمة الخيام تدل على أنها لقب له ولعائلته على أنه قد فسر هذا اللقب في رباعيات له قال:-

خيام تنت بخيمه ما ند راست

جان سلطانيكه منزلش دار بقاست

فراش أزل زيهر ديكر منزل

نه خيمه بيفكند جو سلطان برخواست

يا خيام إن جسدك بمائل الخيمة حقاً والروح التي منزلها لها دار البقاء تشبه السلطان فإذا ارتحل السلطان إلا تقوض الخيمة.

خيام كه خيمه هاي حكمت ميد وخت

در كوره غم فتاد وقاكاه بسوخت

مقراض أجل طاب عمرش يبريد

دلال أمل برا يكانش بفروخت

وقع خيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الفم واحترق وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره وباعه دلال الأمل رخيصاً.

عائلته

العناية بالأنساب والأحساب من خصائل العرب أما الفرس فإنها لم تعن إلا بحفظ أنساب ملوكها فلذا لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من أي الطبقات كانت عائلته غيران سيرته تدلنا على أنه كان من عائلة فقيرة

ليس لها ثروة كافية في ذلك الزمن العسير الذي كثرت فيه الحروب وقد اعترف الخيام مرة بحاجة إلى المال في حديثه مع نظام الملك ويا ليتنا قد عثرنا على نسبه وعرفناه أبويه معرفة تامة لأن ذلك يسهل لنا الوصول إلى معرفة السر في تكييف خلقه وسجيته إذ لا ينكر مالقانون الوراثة من الأثر والفعل.

ولادته

المشهور الشائع أنه ولد في نيسابور وفيها تلقي علومه غير أن صاحب تأريخ الألفي لمؤلفه "أحمد بن نصر الله تتوى[٤٤] يزعم بأن البعض يقول أنه ولد في قرية "شمشاد" التابعة لمدينة بلخ. وبعضهم يقول أنه ولد في قرية (بسنك) من توابع استراباد غير أن الشهر زوري والقزويني وخواندمير يؤديون بأنه ولد في نيسابور وهذا هو الصحيح.

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون في أيام عثمان ﵁ والأمير عبد الله بن كريز في سنة ٣١ صلحاً وبني بها جامعاً وفي رواية أخرى أنها فتحت في أيام عمر الفاروق على يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت في أيام عثمان فأرسل ابن عبد الله بن عامر ففتحها ثانية وقد وصفها صاحب معجم البلدان[٤٥] بأنها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومعدن العلماء وقال لم أر فيما تطوفت من البلاد مدينة كانت مثلها وأكثر

---

(٤٤) عمر الخيام لحسين داتش ص (٤٣).

(٤٥) ياقوت الحموي.

شرب أهل نيسابور من قني تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض، وليس بصادق الحلاوة، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس في الدنيا مثله تكون لواحدة منه منا وأكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة أرطال بالعراق وهي بيضاء صادقة البياضة كأنها الطلع.

وكانت نيسابور حافلة بأهل العلم والأدب وقد خرج منها عدد غير سير من أئمة لعلم منهم الحافظ الإمام أبو على الحسين بن علي النيسابوري والإمام موفق النيسابوري أستاذ عمر الخيام.

والغريب أن الشعراء قد أكثروا من ذم نيسابور كأبي الحسن الاستراباذي الذي يقول.

لا قدس الله نيسابور من بلد	سوق النفاق بمغناها على ساق
يموت فيها الفتي جوعا وبرهم	والفضل ما شئت من خير
والخير في معدن الغرثي وإن	برقت أنواره في المعاني غير

وكقول المرادي:

لا تنزلن بنيسابور مغترباً	إلا وحبلك موصول بسلطان
أولا فلا أدب يجدي ولا حسب	يغني ولا حرمة ترعي الإنسان

وممن شكي ليله فيها معن بن زائدة الشيباني

تمطي بنيسابور ليلي وربما	يرى بجنوب الري وهو قصير

ليـالي إذ كـل الأحبـة حاضـر ... ومـا كحضـور مـن تحـب سـرور
فأصبحت إمـا مـن أحـب فنـازح ... وأمـا الألي أقلـيهم فحضـور

وفي نيسابور تلقي عمر الخيام ورفيقه نظام الملك وحسن الصباح العلوم على الأستاذ الإمام موفق النيسابوري الشهير وفيها عاش ومات.

أسفاره

ليس من المستطاع إنكار ما للأسفار والسياحات من الأثر في النفس وتطويرها وتكوين خلق الإنسان وتكييفه. الحق أن التنقل من قطر إلى قطر ومعاشرة الناس على اختلاف مللهم ونحلهم وأهوائهم يزيد في الإنسان حنكة وتجربة ويقوي فيه العزم ويعوده تجشم المصاعب. وعند الفرس أن العاقل المجرب هو الذي ساح في الدنيا فقد قالوا "خرد مند جهانديده است"[٤٦] أي العاقل المحنك من رأى الدنيا يعنون سافر وساح.

وقد قام عمر الخيام برحلتين: الأولى في فارس، والثانية إلى بلاد العرب وهي التي أدي فيها فريضة الحج، ومكث عند إيابه في بغداد مدة من الزمن.

أما الرحلة الأولى فيظهر أنها لم تتعد السفر إلى بلخ وبخاري، وفي بلخ زاره تلميذه النظامي العروضي السمر قندي في سنة ٥٠٦هـ في صرح "أمير

---

(٤٦) ولهم مثل آخر يناقضه "جهاند يده بسيار كويد دروغ" أي أن الذي رأى الدنيا –أي ساح– يكثر من القول الكذب.

بوسعد جره".

وذكر الشهر زوري، إن الخاقان شمس الملوك ببخاري كان يعظمه ويجلس الإمام معه على سريره.

أما رحلته إلى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطي فقال:

"ولما قدح أهل زمانه في دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه خشي على دمه وأمسك من لسان عنانة وقلمه وحج متاقاة لاتقية، فالظاهر من هذه العبارة أن الخيام لم يكن راغباً في الحج وإنما شد الرحال إلى البيت مكرهاً وذلك تسكيناً للخواطر والنفوس التي حنقت وثارت عليه.

ثم قال "ولما حصل ببغداد سعي إليه أهل طريقته في العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم..." (الكتاب ص ١٤)

ولم يذكر لنا القفطي المدة التي أقامها ببغداد، ولا شك أنه قد استفاد من بقائه في بغداد فائدة عظيمة إذ كانت مقر الأسرة المالكة من بني العباس وكعبة للعلم يقصدها الشعراء والحكماء والرواة وكانت آهلة بالمدارس حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والأدبية كثيرة خزائن الكتب، وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل في الحكمة والفقه والكلام والعلوم الشائعة. وبالجملة فقد كانت الحياة العلمية والأدبية غضة زاهية نضرة.

وأجزم بأن عمر الخيام قد ارتشف من هذا المنهل العذب ما لم يكن

قادراً على ارتشافه في بلاده. وقد أشار إلى بغداد في رباعياته غير مرة فمن قوله:

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ

بيمانه جو برشود جه بغداد جه بلخ

مي نوش كه بعد ازمن وتوماه بسي

از ساخ به غره آيد از غره بسلخ

ما دام العمر ينقضي فسيان عندي حلوة ومره، وإذا امتلأت الكأس أي (مت) فسيان عندي أمت في بغداد أم في بلخ. أحس يا صاح كؤوس الحميا! فإن القمر سيتنقل من بعدي وبعدك من السلخ إلى الغرة ومن الغرة إلى السلخ كثيراً.

شهرته

إن سيرة الخيام في حياته وما نقله المؤرخون عنه يدل على أنه كان متمتعاً بشهرة واسعة في عصره وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ما كان عليه من علم وأدب وحكمة، وقد لقب في حياته بألقاب فخمة جليلة، فكان تلميذه العروضي السمر قندي يسميه "حجة الحق" والبيهقي يسميه "الإمام" وبالغ الإمام القاضي أبو نصر مُحَمَّد بن عبد الرحيم النسوي في الثناء عليه فسماه "سيد الحكماء" ولما سأله عن حكمة الله تعالى في خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات صدر الرسالة بأبيات في مدح الخيام، وهي:

إن كنت ترعين يا ريح الصبا ذمي | فاقري السلام على العلامة الخيمي
بوسي لديه تراب الأرض خاضعة | خضوع من يجتدي جدوي من الحكم
فهو الحكيم الذي تسقي سحائبه | ماء الحياة رفاة الأعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها | تغني براهينه عن أن يقال لم(٤٧)

والنسوي هذا تلميذ "ابن سينا" وكان من فضلاء عصره وأن اهتمامه بالخيام وأطنابه بالمديح عليه إلى هذا الحد دليل على مكانة الخيام وشهرته في عصره.

ويظهر أن الخيام لقب في عصره "بالفيلسوف" نفهم ذلك من رباعية له وقد تتصل فيها من هذه الكلمة ولا أدرى أتواضعاً كان ذلك منه أن خشية

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم
ايزد داندكه آنجه اوكفت نيم
ليكن جو در ابن غم آشيان آمده أم
آخر كم إزآنكه من بدانم كه كيم؟

أخطأ العدو بقوله أني فلسفي وقد علم الله أني لست كما قال ولكن

(٤٧) راجع جامع البدائع ص (١٦٦) وهي مجموعة رسائل طبعت بمطبعة السعادة في مصر بعناية محي الدين صبري الكردي

إذا وجدت نفسي في دار الغم "الدنيا" فلا أقل أن أعرف من أنا.

مزاجه

إن الذى يظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام أنه كان حاد الطبع عصبي المزاج وأن رباعيته المشحونة بشكوكه وأوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله في حل المشاكل العلمية والفلسفية وشذوذ اتجاهاته واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على أن عمر الخيام لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وإنما كانت تغلب عليه صفة الغلظة والشراسة والغلظة والشراسة وحدة المزاج صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين، وكان الخيام شديد التشاؤم—كما سنبرهن على ذلك. ولهذا السبب ولما اشكل أيضاً على الناس أن يطلعوا على سيرته وصموده بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما.

مواهبه

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوى الذاكرة، وتدل رباعياته ومؤلفاته وإطلاعه الواسع في مختلف العلوم والفنون على عقل راجح وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى رووا الأعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعق بقوة ذاكرته. فقد روى لنا الشهر زوري أنه تأمل كتاباً بأصبهان سبع مرات وحفظه وعاد إلى نيسابور فأملاه فقبوبل بنسخته الأصلية فلم يوجد

بينهما تفاوت"[٤٨]

. والأمر الذي لا شك فيه أن الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة.

اتهامه بالزندقة

كان الخيام يعلم الفلسفة في نيسابور وبالفلسفة اشتهر وذاع صيته وبها فاق أقرانه وبها بز لداته وأترابه من معاصريه. وقد اجمع الرواة على أنه كان فذاً منقطع النظير في أجزاء الحكمة في الرياضيات والمعقولات ولما شاعت آراؤه في الفلسفة وذاعت نظرياته في الحكمة اصطدم الناس بهذه الحقائق الناصعة ورأوا شيئاً لم يألفوه من قبل وصموه بالزندقة وطعنوه في عقيدته وظنوا فيه الظنون وأخذوا يتقولون عليه ينقدونه.

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين أبو بكر الرازي سنة ٦٢٠هـ في كتابه مرصاد العباد أن عمر الخيام قد تاه في بيدا الضلال بقوله الرباعية المذكورة في (ص١١ من هذا الكتاب) وزعم المؤرخ العربي الوزير القفطي أن قد قدح أهل زمانه في دينه أظهروا ما أسره في مكنونه فخشي على دمه

(٤٨) ومثل هذا روى عن أبي العلاء المعرى فقد زعموا أنه حفظ مناجاة فارسية سمع لفظها ولم يفهم معناها، وأنه حفظ حسابا طويلا كان بين تاجرين فلما فقد أحدهما وثيقته أملاها عليه أبو العلا بعد زمن طويل. وزعموا أن رجلا من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله فعرضه على طائفة كثيرة من أهل العلم مكانهم لم يفعه ولم يدله على اسم الكتاب لما عرضه على أبي العلاء أنبأه باسمه رأسم صاحبه واملى عليه ما ضاع منه (راجع ص ٢٢٢ من كتاب ذكري أبي العلاء للدكتور طه حسين).

وأمسك من عنان لسانه وقلمه رحج متاقاة لا تقية وأبدى أسراراً من السرار غير نقية.. (راجع ص١٤ من الكتاب) وقد أدرك الخيام تقولات العميان من الناس فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره:

كرمن زمي مغانه مستم، مستم

كر كافر وكبر وبترسم هستم

هر طايفه بمن كماني دارند

من زان خودم، جنانكه هستم، هسم

أنا إن كنت ثملا بخمرة المجوس فأنا ذاك وإن كنت كافراً ومجوسياً أو وثنياً فأنا ذاك فلكل زمرة من الناس ظن في، إما أنا فملك نفسي أكون كما أريد.

أدبه وعلمه

للأستاذ أثر في نفس التلميذ من وجهة التثقيف والتفكير، والتلميذ على الغالب يقلد أستاذه ويأخذ طريقة اتجاهه وميله فينشأ على شاكلته مقتفياً أثره حتى إذا قوى أدراكه ونضج عقله ونال شيئاً من الاستقلال في الرأى ظهر اختياره وبانت رغائبه وإنقاد إلى الميل الطبيعي الذي يتحسس به ويشعر لذلك لا أجد بداً –وأنا أبحث في أدب الخيام وعلمه– من تعريف شخصية أساتيذه الذين تتلمذ لهم في عنفوان شبابه ليظهر الأثر الذي تركوه في نفسه وأثر المصدر الذي أخذ عنه.

أخذ الخيام العلوم عن الإمام موفق النيسابوري كما ذكر ذلك نظام الملك في وصاياه، وقال شمس الدين سامي مؤلف قاموس الأعلام: "أخذ الخيام علومه عن أستاذ الحكيم السنائي (كذا) شيخ الإسلام ناصر الدين مُحَمَّد بن منصور، وهناك رأي في أنه تتلمذ لأبي على الحسين ابن عبد الله "ابن سينا" البخاري لأن الخيام قال[٤٩]في بحثه عن تفاوت الموجودات في رسالته الكون والتكليف التي ألفها سنة **٤٧٣**هـ وأجاب فيها عن سؤال القاضي الإمام أبي نصر مُحَمَّد بن عبد الرحيم النسوي تلميذ ابن سينا عن حكمة الخالق في خلق العالم ولا سيما الإنسان وتكليفه العبادات:

"فاعلم أن هذه مسألة قد تحير فيها أكثر الناس حى لا يكاد يوجد

([٤٩]) جامع البدائع ص ١٧٠–١٧١.

عاقل إلا ويعتريه في هذا الباب حير ولعلى ومعلي أفضل المتأخرين الشيخ الرئيس أبا على الحسين بن على بن عبد الله سينا البخاري أعلى الله درجته قد أمعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث إلى ما قنعت به نفوسنا...

إن الذي يجعلني أتردد في صحة هذه الرواية هو عدم وجود أدلة قطعية تثبت صحة هذه الرسالة ثم إن ما احتوت عليه الرسالة من الحجج والآراء في منشأ الكون وتبرير التكليف يناقض ما جاء في رباعياته كل المناقضة لقد ذكر الشهر زوري في بحثه عن الخيام وتعداده مؤلفاته بأن له رسالة في الكون والتكليفة بيد أنه ليس في أيدينا دليل يثبت أن الرسالة التي ذكرها الشهر زوري هي الرسالة التي نشرها الفاضل محي الدين الكردي في مصر.

ثم إني بحثت وجاهدت كثيراً للعثور على ترجمة الأستاذين الآخرين شيخ الإسلام منصور والموفق النيسابوري فلم أظفر بطائل.

فمن هنا خسرنا أعظم مصدر نستطيع أن ندرس به عقلية الخيام ونقيس به مبلغ علمه.

رباعياته

جمع عمر الخيام فضائل جمة ومزايا كثيرة. فقد كان إماماً في العلوم الرياضية والفلكية تشهد له بذلك تأليفه القيمة في علم الجبر وبنائه الأرصاد وترتيبه الزيج، وكان طبيباً حاذقاً ومحققاً بارعا ومتفكراً كبيراً، وإلى

كل ذلك كانت منزلة سامية في الشعر وقد سلك فيه مسلكا لم يسلكه غيره.

وإذا بحثنا في أدب الخيام فلا يعنينا أن نبحث في مؤلفاته وعلومه وإنما تقتصر على رباعياته الذائعة الصيت التي فتنت الألباب فكان له بها أنصار يجعلونه من أكابر الشعراء ويسرفون في تبجيله.

نظم الخيام رباعياته في أزمنة وأمكنة مختلفة وكانت نفسيته تتمثل في كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصاً بها بما كان يحيط به من المؤثرات فيقول في كل حادثة كلمة ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين وذلك عند جولته في مضمار الشك واليقين فتارة نراه مؤمناً مطمئناً وتارة مرتاباً مضطرباً وهو أشبه روحاً بأبي العلاء في لزومياته وهذا يدل على كونه شاعراً حقيقياً تختلج في قلبه أفكار شتي، ثم أننا نرى بعضها سخيفاً سمجاً لا يستحق العناية وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وأدبية وفلسفية.

وعروض الرباعيات في الغالب على وزن "لا حول ولا قوة إلا بالله" وهو مركب من أربعة مصاريع الأول والثاني وارابع مقفي والثالث مطلق وقد تكون الأربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معني واحد.

والذين نظموا الرباعيات من أدباء الفرس كثيرون ولكن الخيام على ما نعتقد برز على الجميع كما سأبين ذلك وبحسبنا أن نقول أنها تكاد

تكون المصدر الوحيد لأرائه الفلسفية ومذهبه وأخلاقه ومجموعها يعبر عن نفسيته أحسن تعبير ويتضمن كل ما كان يختلج في صدره من شكوك رهواجس ووساوس والأم ونزعات ونزعات.

عدد الرباعيات

اختلف الباحثون وتضاربت أراؤهم في عدد الرباعيات كما اختلفوا في عقيدته ورأيه ف الحياة. فيقول بعضهم: ليس كل ما في الرباعيات هوله قد بلغ ما في النسخ المطبوعة في الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعية وعددها الصحيح يتراوح ما بين ١٢٠–١٥٠ وأما الباقي فهو لشعراء آخرين نسبها إليه المتأخرون أو دسوها في ديوانه. وقد وقع بيدي بضع نسخ منها مطبوع بعضها في الغرب وبعضها في الشرق وكل ما فيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية ونسخ أخرى فيها ١٢٠ أو ١٥٠ أو ٥٠ أو أقل.

فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه.

وأنا لا أنكر أن الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشياً في عصر الخيام وما قبله وما بعده وكان للانتحال شأنه في كل عصر من العصور المتقدمة ولا ننكر أن للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضهم له في حياته وبعد وفاته، ولكن قول ابن القفطي "ولما قدح أهل زمانه في دينه واظهروا ما أسرة من مكنونه خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه حج متاقاة لا تقية وأبدي أسراراً من السرائر غير نقية.. إلخ"

دليل على أنه لم يبق لأعدائه حاجة إلى الدس عليه فإنه جاهر بما يريد أن يقوله فلم يلاق من الجمهور صدراً رحيباً لقبول أقواله أو صرفها عن ظاهرها.

نظم الخيام في حياته رباعيات كثيرة، ونعتقد أنه من الصعب جدا تعيين ما له وما ليس له منها لأنه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ولا هو أول مبتكر لهذا الأسلوب، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعني وقد وجدت بعض الرباعيات المعزوة له في دواوين شعراء الفرس كأبي سعيد أبي الخير وأفضل الكاشاني والأنوري وابن سينا وحافظ الشيرازي وجلال الدين والخاقاني وسعدي الشيرازي وغيرهم من الشعراء والمتصوفة.

تقول "المسس كادل" التي سلخت عدة سنوات في تحقيق رباعيات الخيام وأظهرت ماله وما ليس له: أن له ١٢٠٠ رباعية وأن أقدم نسخة للرباعيات وهي المحفوظة في مكتبة (بودلين) في أكسفورد معلمة برقم ٥٢٥ وهي نسخة صحيحة كتبت سنة ٨٦٥هـ أي بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف قرن فهي أقدم نسخة بين أيدينا وهي تشتمل على ١٥٨ رباعية.

ولو قبلنا كل الرباعيات التي تنسب إلى الخيام بغير تمحيص لتراوح عددها بين ٦٠٠-١٠٠٠ رباعية والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة أمر متعسر بل متعذر حتى على أدباء الفرس أنفسهم.

وفي هذه الحالة ليس لدينا من وسية نفهم بها ما للخيام غير مذهب

الخيام الفلسفي الخاص به. وغاية ما نقوله في هذا الصدد أن هذه الرباعيات كلها للخيام رديئها وجيدها فإن الشاعر قد يحسن وقد يسئ والجواد يعدو ويكبو ولا غضاضة في ذلك فكثير من شعر المتنبي وأبي تمام والبحتري، المعري وغيرهم ما هو غير جدير بالتدوين والإنشاد وعلى كل فإن مذهبي في معرفة رباعياته هو مقارنتها بمذهبه الفلسفي الخاص.

وقد اعتمدت في ترجمة الرباعيات نسختين الأولى نسخة العالم المحقق الألماني "فردريخ روزن" والثانية نسخة الأديب الفارسي الشهير حسين دانش.

والآن نعود فنقول كلمتنا في أدبه:–

كانت اللغة العربية في عصر الخيام لغة العلم والدين بل كان اللغة الرسمية وكان الفرس يدرسون العلوم والآداب والفنون باللغتين العربية والفارسية معاً ويؤلفون باللغتين كما أنهم كانوا يقضون الشعر باللغتين أيضاً وقد وجدنا للخيام ولغيره من شعراء الفرس كسعدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم شعراً بالعربية مما يدل على شيوع العربية في فارس وقد عثرنا على شعر عربي لعمر الخيام يدل على تضلعه من العربية وعلو كعبه فيها. ولنبحث الآن في أدبه وشعره بلغة قومه ثم نعود فنبحث في أدبه العربي.

يرى الناظر في رباعيات عمر الخيام الفارسية تناقضات كثيرة ومواضيع متباينة وآراء مختلفة فكوؤوس وأباريق. ودنان وطاسات وخمرة وردية، وآنية عسجدية، وحانات وسقاة، ومعشوق مليح، وعود صيح

وجنة غناء، وأغصان خضر، وبلابل تغرد، وحمائم تسجع، ولذة وسرور، ومداعبة العين الحور، وابتسامات حلوة ونشيد بديع، وتفاؤل عظيم، ثم زفير وشهيق، ودموع ونشيج وصيحات تنم عن ألم، وصرخات تشف عن حزن، وشك وإلحاد "ويقين واعتقادن وكفر صميم، وإيمان قويم، ويأس مظلم، وحزن عميق "وسباب على الكواز الذي يجعل الطين باعتساف، وشكوى من الفلك الجائر، ونفس مضطرمة تجيش بالهم؛ ثم تهكم بالعادات، وسخرية بالأديان، وإنكار للبحث وجحود للحشر، وهزؤ برجال الدين، وطعن شديد ونقدم للأخلاق والأنظمة؛ وثم فكر حر، واستقلال بالرأى، وجرأة قوية وصراحة عجيبة، وأقدام وتردد، ونقض وإبرام، وبلاغة عالية وشاعرية فذة، وذكاء لامع، وكلام رفيع، وقول سمج سخيف!

وخلال هذه المتناقضات يظهر أدب الخيام عريان كالطبيعة السافرة التي كشفت عن قناعها وهي تبدي تارة رقة كرقة النسائم في الربيع وتارة غضباً كغضب الرياح الهيج التي يصحبها الرعد والبرق وطوراً تجهيما كتجهم الخريف الحزين، وجمالا كجمال السماء في الليلة الصاحية!

فلا نجد في هذا الأدب الغض الريان غير هواجس نفس الخيام المنطلقة الثائرة تارة والمطمئنة الهادئة تارة أخرى وهو يمثل روحه أصدق تمثيل، فهو الشاعر الذي ما عرف غير الطبيعة وما فيها من شؤون، ونفسه وما فيها من الأم وأفراح وشجون، فهو لم يتغزل إلا بالطبيعة وما أنتجته الطبيعة من حسن رائع، وهو لم يصف إلا ما كانت تشعر به نفسه الهائجة

الثائرة، وهو لم يسخر إلا بما كان يعارض حريته، وهذا هو السر الذي جعله من الخالدين على كر السنين.

استعمل الخيام كلاماً في نظم رباعياته من النسق العالي فاختار ألفاظاً تناسب المعني والقصد، وساق رأيه المدعم بالحجة القوية بأربعة مصاريع بقوة ومتانة وانسجام، وعندما يريد زفاف رباعية تلك العروس الحسناء يزودها بشئ من الخيال والنقد والسخرية فترى الرباعية تهبط القلب قبل الأذن فتحدث هزات عنيفة في شعوز السامع وصدمات قوية في جوانح القارئ ثم نترك أثراً عميقاً تعقبه ضحكة طويلة أحيانا وأحيانا أسفاً بليغاً وهو يرسل الألم والفرح والشؤم والنصيحة والحكمة منتقلا بالقارئ من رأى إلى رأي صارخاً ضاحكاً مداعباً ممازحاً وبهذا يظهر مهارته اللغوية والفكرية بأجلي مظاهرها مكرراً نغمة واحدة ومنشداً هزجاً واحداً هو "العمر يا ناس قصير فاغتنموا الفرصة بين العدمين" ولولا ضيق المجال لا سهبت الآن في تحليل رباعياته، ولكنني أورد أمثلة من رباعياته تأييداً لما أدعيه.

مي خوردن وشاديودن آبين منست

فارغ بودن زكفر ودين دين منست

كفتم بعروس دهر كابين توجيست

كفتادل خرم توكابين منست

عادئي أن أحسو المدامة واطرب، وديني أن أهجر الكفر والدين.

سألت عروس الدهر –الحياة– ما هو صداقك؟ قال قلبك الطروب صداقي!

كويند بمن بهشت باحور خوشست

من ميكويم كه آب آنكور خوشست

اين نقد بكير ودست أزان نسيه بدار

كاواز دهل شنيدن ازدور خوشست

يقولون لي الجنة طيبة بالحور، وأنا أقول عصير الكرم هو الطيب، خذ هذا النقد ودع ذلك الدين فسماع صوت الطبل من بعيد حسن!

أين قافله عمر عجب ميكزرد

درياب دمي كه باطرب ميكزرد

ساقي غم فرداي قيامت جه خوري؟

بيش آر بياله كه شب ميكزرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً فاغتنم وقتاً تطرب فيها أيها الساقي مالك مهموماً من القيامة في غد؟ هات الزجاجة فإن الليل على وشك الفناء

كويندكه ماه روزه نزديك رسيد

من بعد بكره باده نتوان كرديد

در آخر شعبان بخورم جندان مي

كاندر رمضان مست بيفتك تاعيد

يقولون قدائي شهر رمضان وليس لأحد بعد أن يحوم حول المدام! أما أنا فاشرب منها في آخر شعبان ما أبقي به سكران طوال شهر رمان حتى يوم العيد!

هذا نموذج من أدبه الفارسي ومن العسير جداً على غير العارفين بالفارسية أن يشعروا باللذة التي يشعر العارف بها الحائط علماً بدقائقها ونكاتها وروعتها، وما حيلتنا والترجمة عادة تذهب الكثير من جمال الأصل.

الخيام وشعراء الفرس

كلمت كثيراً من أدباء الفرس في كربلاء وبغداد وطهران عن منزلة الخيام الشعرية فوجدت بعضهم يعده من شعراء الطبقة الأولى، وبعضهم يعده من الطبقة الثانية، وفريق يضن عليه بلقب شاعر، والمنصفون منهم يقولون إنه من الطبقة الثانية ويقولون أن في شعراء فارس كثيرين يقدمون عليه وشعره الجيد القليل لا يجعله من المحرزين لقصب السبق فحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي والخاقاني والفردوسي جلال الدين الرومي

أفضل منه شعراً وأكثر إجادة وأبرع في تصوير المعاني الجليلة وتمثل المقاصد العالية، وهم أكثر غاية بالشعر وقد اختصوا به وانقطعوا إليه مدة حياتهم وفيهم المعمرون الذين جاوزوا المئة –كسعدي الشيرازي– فالخيام يعد بينهم شاعراً وسطاً وإنما كانت له هذه النباهة الذائعة بما قاله من العديد اليسير من الرباعيات وهذه لا تضعه في مراتب كبار الشعراء والرعيل الأول من البلغا!

أما أنا فأعده في الرعيل الأول من الشعراء وأعتقد أنه لا يقل عبقرية عن حافظ وسعدي والرومي وخاقاني والناس مختلفون في أذواقهم وقد وجدت أناساً يقدمون بن أبي ربيعة على المتنبي وأناساً يفضلون الشريف الرضي على المعري والمتنبي ولكل ذوقه ورأيه:

شعره العربي

شعره العربي نزر جداً ولم نعثر له إلا على ثلاث قطع ذكر واحدة منها القفطي في كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء "ص٢٤٣-٢٤٤" وذكر القطعتين الثانتين الشهرزوري في كتابه نزهة الأرواح وروضة الأفراح "ص٣٢ رباعيات الخيام لحسين دانش" وفي بعض أبيات شعره زحاف وفي بعضها ركة وبعضه غير واضح ومع ذلك فإنه كثير من فارسي رياضي فلكي فيلسوف أفني حياته في ممارسة الفنون والعلوم والفلسفات.

وفي شعره مسحة من روح أبي العلاء وفيها نفحة من نفحاته العلوية وفيما يأتي شعره العربي:

إذا رضيت نفسي بميسور بلغة … يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها … فكن يا زماني موعدي أو
ولي فوق هام النيرين منازل … وفوق مناط الفرقدين
أليس قضي الأفلاك من دورها بان … تعيد إلى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً من مقيلك إنما … تخر ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة … فو اعجبي من ذا القريب
إذا كان محصول الحياة منية … فسيان حالا كل ساع[٥٠]

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى … بل الأفق الأعلى إذا جاش
أصوم عن الفحشاء جهراً وخفيه … عفاناً[٥١] وامطاري بتقديس فاطري
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت … بطرق الهدي من فيضي المتقاطر
فإن صراطي المستقيم بصائر[٥٢] … نصبن على وادي العمي كالقناطر
زجيت دهراً طويلا في التماس أخ … يرعي ودادي إذا ذو خلة خانا
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ … وكم تبدلت بالأخوان إخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها … والله لا تألفي ما عشت إنسانا[٥٣]

وله أبيات أخرى وجدتها ي ترجمة وديع البستاني لرباعياته، غير أنه لم

---

(٥٠) والبيت الأخير ينطبق على روح الخيام كل الانطباق وقد كرر هذا المعني كثيراً في رباعياته.

(٥١) لم أجد الخيام متفاخراً بل عرفته آية في التواضع.

(٥٢) وفي رواية معابر.

(٥٣)في هذه الأبيات مسحة من روح الخيام ومذهبه الشعري.

يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه الأبيات وهذه هي:

ســـبقت العـــالمين إلى المعـــالي	بصـــائب فكـــرة وعلـــو همـــة
فـلاح بحكمـتي نـور الهـدي في	ليـــال للضـــلالة مدلهمـــة
يريـــد الجاحـــدون ليطفؤهـــا	ويأبى الله إلا أن يتمـــــــــه
العقـــل يعجـــب في تصـــرفه	ممـــن علـــى الأيام يتكـــل
فنوالهـــا كـــالريح منقلـــب	ونعيمهـــا كالظـــل منتقـــل

إن الذي ظهر لنا من ترجمة الخيام وسيرته أنه كان متضلعاً من العلوم الشائعة في عصره ولا سيما الرياضيات والفلك.

قال الشهرزوري "كان تلو أبي على بن سينا في أجزاء علوم الحكمة وكان ابن بجدتها في أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات" وفي كامل التواريخ لابن الأثير في ذكر حوادث ٤٢٧هـ "وفيها أيضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن إبراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي" وقال فيه القفطي "إمام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان... وكان عديم القرين في علم النجوم والحكمة وبه يضرب المثل في هذه الأنواع لو رزق العصمة..."

وقال القزويني في بحثه عن نيشابور "وينسب إليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفاً بأنواع الحكمة سما النوع الرياضي وكان في عهد

السلطان ملكشاه السلجوقي سلم إليه مالا كثيراً ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك".

وقال الأبرقوهي "خيام –وهو عمر بن الخيام– "كان ذا باع طويل في العلوم الخاصة وفي علم النجوم وله رسائل ذائعة الصيت وإشعار لا نظير لها..." وقال حمد الله المستوفي القزويني "عمر الخيام بن إبراهيم كان متضلعاً من أكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان في عصره".

من العلوم التي أقبل على تعلمها المسلمون يومئذ علم الفلك[٥٤] وكان لأبي جعفر المنصور الخليفة العباس رغبة شديدة فيه، وهو الذي أمر مُحَمَّد الفزاري أن ينقل إلى العربية كتاب السند هند، وكان علماء الفلك

قسما من موظفي الدولة يرافقون الخلفاء والملوك في أسفارهم وغزواتهم وقد ظهر في عهد المأمون العباسي مُحَمَّد بن موسى الخوارزمي وبنو شاكر الثلاثة الذين قاسوا درجة خط نصف النهار[٥٥] .

---

(٥٤) تاريخ علم الفلك قديم جدا يرجع إلى نحو آلاف من السنين وقد أولعت به الأمم القديمة واختلف في موطنه الأول فأهل الصين يزعمون أن لديهم إرصاداً عملت قبل الطوفان، وقد اشتغل به للكلدانيون منذ ٥٠٠ سنة وتقدم عندهم وقد بلغ من تولعهم بالأجرام السماوية أنهم أول من قسم النهار إلى ١٢ ساعة ولم يقصر المصريون واليونانيون فيه فقد كانت لليونانيين مدارس كبيرة لتدريسه يرجع عهدها إلى الفلكي اليوناني "تاليس" الذي عاش في القرن السادس للمسيح وقد انشأت في عهد الدولة البطليموسية، مراصد عظيمة في الإسكندرية.

(٥٥) راجع كتاب علم الفلك وتاريخه في القرون الوسطي للسنيور كرلونلينو.

ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا في هذا العلم أبو المعشر البلخي، وحنين بن إسحق، وثابت بن قره الحراني، وأحمد بن كثير الفرغاني، وسهل بن بشر، ومُحَّد بن عيسى الماهاني، ومُحَّد بن جابر الحراني ونبغ في القرن الرابع والخامس أبو الوفاء، والوزجاني، والبيروني، وفي القرن السابع ظهر أمام الفلكيين نصير الدين الطوسي، ونبغ في عصره مؤيد العروضي، وابنه مُحَّد بن المؤيد والفخر المراغي، والخلاطي، ونجم

الدين القزويني وغيرهم من الفحول.

وقد أجمع المؤرخون على أن الخيام كان بارعاً بعلم الفلك وذكروا أن ملكشاه السلجوقي أعطي الخيام أموالا لبناء رصد عظيم فتوفي ملكشاه ولم يتم العمل، واتفقوا على أنه هو الذي تولى ترتي "الزيج" لملكشاه السلجوقي رتبه بمعونة سبعة من المنجمين منهم ميمون بن نجيب الواسطي، وأبو المظفر الأسفزاري، وعبد الرحمن الخازن[٥٦]

قال أحمد رفيق في تاريخه العام المفصل:- أن عمر الخيام أصلح التقويم الفارسي وأكمله على عهد السلطان ملكشاه، السلجوقي.

---

(٥٦) وفي كتب الفلك أن آلات الرصد المستعملة في ذلك العهد هي: ١- اللبنة ٢- الحلقة الاعتدالية ٣- ذات الأوتار وهي أربع أسطوانات مربعة يعلم بها الميل ٤- ذات الحلق ٥- ذات السحت والارتفاع وهي نصف حلقة قطرها سطح من اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعه ٦- ذات الشعبتين وهي ثلاث مساطر على كرسى يعلم بها الارتفاع ٧- ذات الجيب ٨- المشتبهة بالمناطق وهي ثلاث مساطر يعلم بها ما بين الكركبين من البعد ٩- الأسطر لاب وله أنواع ١٠- الأرباع ولها أشكال "نقلا عن العالم الجليل السيد عبد الحليم الحافاني وهو من أجله العلماء في بغداد وله شغف بعلم الفلك وإطلاع واسع به".

وقال حميد وهبي في كتابه (مشاهير الإسلام):- إن هذا الاصلاح وافق اليوم الثامن من رمضان تلك السنة وقد استعملت الكبيسة التي اعتنت بها الروم ولم يلتفت إليها الفرس في ذلك الحين وهي ضم يوم واحد إلى نهاية كل أربعة سنين وسمي هذا الزيج بالجلالي أو الملكي وحصل من هذا الحساب فائدة عظيمة لبيت المال لجريانه على محور ثابت.

وقال عبد الرحمن شرف في كتابه لزبدة القصص) أن التقويم أو الزيج الجلالي الذي رتبه عمر الخيام وعبد الرحمن الخازن هو أقل خطأ من التقديم الغريغوري. قال صاحب كشف الظنون في باب (الزاي) أنه وضعه عند ما سافر إلى مرو فأكرمه السلطان وأمره بإصلاح التقويم مع جماعة ثمان فاصلحوه، قال أبو الفداء:- أنه يوافق ١٠٧٩ ميلادية ونسبه إلى جلال الدين ملكشاه ودعي الزيج الجلالي.

وقال المؤرخ الانكليزي (كين) أن الزيج الذي رتبه الخيام يتفوق على التقويم الجولياي وعلى صحة النمط الغريغوري.

فالظاهر مما تقدم أن الخيام كان إماماً في علم الفلك وحجة في الرياضيات.

وقد وردت عنه حوادث يستدل بها أنها تعلم الطب ومارسه، وتعلم الهندسة والعلوم الطبيعية والكيمياء والجبر، وألف في هذه المواضيع رسائل جليلة، ونستدل على درسه الطب ما ذكره الشهرزوري قال:

"ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد أصابه جدري فلما خرج سأله الوزير كيف رأيه وبأي شيء عالجته؟ فقال عمر، عمر الصبي مخرف فرفع خادم حبشي ذلك إلى السلطان فلما برأ السلطان أبغضه وكان لايحه (الكتاب ص١٣). وكان الخيام شغوفاً بمطالعة كتب (ابن سينا) الفيلسوف الطبيب وقد صرح الخيام بأنه تتلمذ له وإذا صح أنه درس على ابن سينا فلا شك في أنه أخذ الطب عنه.

وألف في الهندسة رسالة في شرح ما لشكل من مصادرات (اقليدس) والرسالة محفوظة في هولندة في مكتبة (ليدن)، وألف في الطبيعيات رسالة مختصرة وفي الكيمياء رسالة في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما والرسالة الآن في ألمانية في مكتبة (غوتا) ورسالة في الجبر والمقابلة طبع متنها العربي وترجمتها بالفرنسية المسيو (ويكة) في باريس سنة ١٨٥١.

مؤلفاته

قال صاحب نزهة الأرواح —وقد ذكرناه آنفاً— "وله –أي لعمر الخيام– ضنة بالتصنيف والعلم، وله مختصر في الطبيعيات، ورسالة في الوجود، ورسالة في الكون والتكليف، وكان عالماً باللغة والفقه والتواريخ".

وقد عدد مصنفاته واضح حواشي المقالات الأربع (ص٢٢٠–٢٢١) والأديب حسين دانش في كتابه عمر الخيام (ص٤٨–٤٩) والمستشرق الألماني فريدرخ رو زن في كتابه عمر الخيام (ص٦١–٦٢).

- رسالة في الجبر والمقابلة طبعها العالم الجليل المسيو ويكه في باريس سنة ١٨٥١.

- رسالة في شرح ما أشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة في هولندة في مكتبة ليدن.

- الزيج الملكشاهي، كشف الظنون (الزاي المعجمة).

- رسالة في الطبيعيات، ذكرها الشهرو زي.

- رسالة في الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن مؤيد، والنسخة محفوظة في (بريتش ميوزيوم) وقد كتب في صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام "كذا" الكليات الوجود).

- رسالة في جواب ثلاث مسائل وفي كشف الحجاب عن ضرورة التضاد في العالم نشرها محي الدين صبرى مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع).

- رسالة في الكون والتكليف وقد ذكرها الشهر وزي وهي رسالة فلسفية كتبها جواباً على سؤال عبد الرحيم النسوي ونشرها محي الدين صبرى.

- رسالة في الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما محفوظة في مكتبة (كوتا) في ألمانيا.

– رسالة في لوازم الأمكنة بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والأقاليم.

يقول بعض الباحثين أن رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهتراُ، ماجناُ، شهوانياً، فناء في حبه ذاته وشهواته، زائغاً عن التقاليد، متمرداً على الأخلاق، جاعلا هدفه الأسمي في الحياة اجتلاب السرور والانغماس في الملذات، وأنه لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا في نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الأخلاق الرفيعة وقدموا عصارة أدمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقرباناً للإنسانية المفعمة بالإتراح المليئة بالأوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس، وأن آراءه في الحياة غير مستندة إلى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس، وإن أفكاره الفلسفية مبتنية على السلب لا الإيجاب وهدم النظام الاجتماعي، وما هو إلا شاعر ليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة.

أجل هذا هو الواقع الذي لا شك فيه والحق الذي لا مراء فيه فإن عمر الخيام لم يكلف نفسه قط في نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم إلى الخير وهديهم إلى الطرق المستقيمة وإنما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وأن غلوة وأسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الإقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذي جعل بعض العلماء أن يشبهوه "بأبيكور ولو قره جيوس" وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون أن غاية الحياة أن يتطلب الإنسان الأمور التي تولد "اللذة" واجتناب ما يورث

الألم ما دام الإنسان يشعر بأن أساس حياته هو "الإحساس".

وإذ كان التفتيش عن العلة يدلنا على المعلول ومعرفة السبب تعرفنا بالمسبب وجب علينا أن نبحث في السر الذي حدا بالخيام أن يظهر بهذا المظهر الشائن وأن نتطلب الدافع الذي دفعه إلى ذلك.

أن للسرور سبباً وللألم علة ولابد لمن يشذ عن العادات والتقاليد ويعتقد اعتقاداً خاصاً لا يلائم اعتقاد الجمهور من علل وأسباب أورثته هذا الشذوذ وذلك الاعتقاد، ولكل حادث سبب ولكل حركة عامل فما السبب الذي جعل الخيام أن يظهر بهذا الشكل يدعو إلى خرق النواميس الأدبية والأخلاقية؟ أنقص في تهذيبه؟ أم اختلال في تفكيره؟ أما اضطراب في مزاجه العقلي؟ أم لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما هو أمرؤ خليع سافل الطباع ذو مزاج شهواني دفعته نفسه المنهومة إلى اللذائذ فخاض الموقات والمنكرات والمهلكات؟

إن الذين أصدروا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسي من هذه الناحية لم يلتفتوا إلى تحقيق أشياء أخرى في الناحية الأخرى من رباعياته لقد أكثر الخيام الذم من الحياة وصورها أبشع صورة حتى لقد تمني العدم وود لو أنه لم يكن مخلوقاً. قال:

كر آمدنم بمن بدي نامدي

ورنيز شدن بمن بدي كي شدمي

به زآن نبدي كه اندراين دير خرا

نه آمدمي، نه شدمي نه بدمي

لو كان مجيئ باختياري لما جئت ولو كانت خلقني بيدي لما رغبت أن أخلق الأفضل أنني لم أكن في هذا العالم ولم أجئ إليه ولم أبق فيه.

وقال:

جون حاصل آدمي دراين جاي دو در

جز درد دل ودادن جان نيست دكر

خرم دل آنكه يك نفس زنده بود

وآسوه كسيكه خود نزاد ازمادر

لم يكن محصول الإنسان من هذه الدنيا ذات البابين غير ألم القلب وزهوق الروح. فالمسرور من عاش لحظة، والمرتاح هو الذي لم يولد من أمه!

وقال:

جون حاصل آدمي دراين شورستان

جز خوردن غصه نيست باكندن جان

خردم دل آنكه ازجهان بيرون شد

آسوده كسيكه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الإنسان في هذه الحياة ذات الفتن إلا الألم وعذاب النفس فطوبي لمن خرج منها أو لم يجئ إليها!

أليس عجيبا أن يذم الخيام الحياة وأن يفيض بالنقمة عليها فيسميها دار الفتن والعذاب ويتمني العدم في هذا "الدير الخرب" وأن يقول هنيئاً لمن عاش لحظة فيها وطوبي لمن لم يولد من أمه!

أليس غريباً أن يصب الخيام نقمته على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس إلى الملذات والمسرات واغتنام الفرص في الحياة والأخذ باللهو والمرح من غير اهتمام بالتقاليد والتفات إلى ما هو حرام أو حلال أخلاقا أو عرفا فما سبب هذا التناقض؟ ما سبب هذه الابتسامة الحلوة وهذا الوجه العبوس؟ ما علة هذا الإدعاء وما سبب هذا الزعم؟

ما كان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية، وما كان مختل التفكير فإن علمه وأدبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقي وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وأنه كان أية في العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع إذ لا يكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الأمراء وقد عاش حصوراً عزباً لم يتزوج ولم يذكر أحد بأنه كان مدمناً للخمرة سكيراً مع كثرة تغزله بها وإنما الخيام

قد دعي الناس إلى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعاً بعقيدة فلسفية هي وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفي فإن للرجل تفكيراً خاصاً ومسلكا معلوما في الحياة فلم يكن الخيام عدو لناس ولا صديقهم ولم يطلب لهم لا خيراً ولا شراً وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة وقد جاشت في صدره نفثات هي حقائق ناصعة ومقاصد عالية ومعاني جليلة ألبستها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميلة أبرزها بصدق وإخلاص ونية حسنة.

إذا فلم يكن عمر الخيام شاعراً مستهترا، ماجناً، شهوانياً، مادياً، كما ادعي ذلك "فرناندهانري وفتبزجرالد" وغيرهما وإنما كان حكيما مفكراً له عقيدة خاصة تعر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفي وأن لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضوجها أسبابا سابنيها في بحثي عن عقيده الفلسفية. ومع ذلك فإني أثبت هنا الآن ثلاث رباعيات جوابا على الذين يوصمونه بالاستهتار والسفه ليتبينوا السبب الذي من أجله يدعو الخيام إلى معاقرة الخمرة وطلب اللذة: قال:

روزي كه دو مهلتست ميخورمي ناب

كاين عمر دو روزه برنكردد ياب

داني كه جهان روبخرابي دارد

تونيز شب ور وزهمي باش خراب

أشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فإن هذا العمر الذي هو عبارة عن يومين لا يعود إليك مرة أخرى أنت تعلم أن مصير الكون آيل إلى الخراب فكز أنت أيضا خراباً ليلا ونهاراً. وقال:

عمرت تاكي بخود برستي كذرد؟

يا دربي نيستي وهستي كذرد؟

مي نوش كه عمري كه أجل دربي اوست

آن به كه بخواب يا بمستي كذرد

حتى يمر عمرك في عبادة نفسك أو في الافتكار في الوجود والعدم اشرب المدامة فإن العمر الذي وراءه المنية يحسن أن ينقضي في النوم أو السكر وقال:

أي انكه نتيجة جهار وهفتي

در هفت وجهار دائم اندرتفتي

مي خوركه هزار بار بيشت كفتم

باز آمدنت نيست جور فتي رفتي

يا من هو نتيجة أربعة عناصر وسبع سموات إلى متى أنت تتألم بالتفكر

فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك ألف مرة مالك من أوبة فإذا ذهبت ذهبت أي –ذهابك ذهاباً أبدياً–

أظن الآن قد بان السبب الذي من أجله كان يدعوا الخيام إلى الخمر بأن عريان صريحاً كالشمس وسوف أحلل هذا السبب أكثر من ذلك فيما بعد والآن أبحث في مصادر فلسفته.

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام في القرن الخامس الهجري وكتب الفلسفة اليونانية شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس، وأفلاطون، واقليدس، وبطتيموس، وجالينوس، وفيثاغور وزه نون وابيكور في الفلسفة الطبيعية والإلهية والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والأخلاق والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس والجدل محتدم حول أراء السوفسطائيين فالكلبيين والمشائين والرواقين وغيرهم من المذاهب الفلسفية هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الخيام قد وجد في عهد نضج فيه علم الكلام واشتد لنزاع العلمي بين الأشاعة والحنابلة والمعتزلة والجبرية وشاعت آراء الباطنية وكثر الإقبال على التأليف في مختلف العلوم والفنون واجتشدت المدارس بطلاب العلم وظهرت رسائل أخوان الصفا الجمعية السرية وتعددت الفرق والطوائف وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الأطباء والفلاسفة فألف ابن القفطي وابن أبي أصبيعة كتباً في تراجمهم ووضع الشهر ستاني كتاب الملل والنحل وأحصي فيه عدد الفرق مبينا حججهم وأدلتهم العلمية وظهر أبو

نصر الفارابي وأبو على بن سينا واشتد النزاع بين الدين والفلسفة فوضع الإمام الغزالي حجة الإسلام كتبا في الرد على الفلسفة وعظيم أمر التصوف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بآرائهم الحرة التي لا تلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة وكان نصيبهم السيف والنطع وصفوة القول فإن حظ الخيام أوجده في عصر زاهر عظيم من الوجهة العلمية وقد دلت مؤلفات الخيام في العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية على إقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقد بأن الخيام قد استقي علومه وأراءه الفلسفية من المصادر الآتية:

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم أن المسلمين قد أقبلوا على درس للعلوم والمذاهب الفلسفية اليونانية إقبالا عظيما وأن رسائل أخوان الصفا أسطع دليل على رغبتهم فيها وكان الجدل حامي الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها وتولع بها وقد أخبرنا القفطي عن ذلك بقوله "يعلم علم يونان... وهذا لرواية تدلنا على اصطلاعه منها واتقانه إياها. وقد أشار القفطي بأن له أراء خاصة به بقوله "ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية" وما القواعد اليونانية الا نظريات الفلاسفة اليونانيين وأرائهم في الكون والحياة والاجتماع والأخلاق إلى غير ذلك ولكن عدم رغبة الخيام في التأليف وضنه بالتصنيف حالو ويا للأسف دون إطلاعنا على أفكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال فإن عمر

الخيام قد تأثر مزاجه بالفلسفة اليونانية خصوصاً بفلسفة (ابيكور) ورأيه في "اللذة" كما نطقت بذلك رباعياته.

رسائل أخوان الصفا

إخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا في منتصف القرن الرابع في البصرة على ما يروى والفوا جمعية علمية سرية ووضعوا رسائل عظيمة الشأن وهي إحدي وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة في عصرهم وكان غرضهم من ذلك كما زعموا غرضاً نزيهاً وهو انقاذ الشريعة من الأوهام والأباطيل والضلالات إذ كانوا يرون "إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية" وذكروا في أول هذه الرسائل "إن الحكماء والفلاسفة الذين كانوا قبل الإسلام تكلموا في علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها، ونقلها من لغة إلى لغة من لم يكن قد فهم معانيها، حرفها وغيرها، حتى انغلق على الناظر فيها فهم معانيها ونحن قد أخذنا لب معانيها وأقصى أغراضهم فيها وأوردناها بأوجز ما يمكن من الألفاظ في إحدى وخمسين رسالة" والحق أن هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئيها وتوغلهم بالعلوم المعروفة في عهدهم وقد ذكر لنا القفطي حديث أبي حيان التوحيدي المتوفي نحو سنة ٣٨٩هـ عن أخوان الصفا وامتداحه إياهم حتى ظن –وقد يكون ذلك– أنه هو أحدهم لقوله "إن الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب إصلاحها بواسطة الفلسفة" وقد أضرت رسائل إخوان الصفا بقدر ما نفعت.

ويعتقد شيخنا الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي أن أخوان الصفا جماعة من الباطنية المعتدلة كما يعتقد أن كلا من أبي العلاء المعري وعمر الخيام كان باطنياً.

وأجزم بأن عمر الخيام قد أمعن النظر في رسائل أخوان الصفا إمعاناً دقيقاً، لأن لهجته وتقريره في رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد في العالم وجوابه عن ما أورده أصحاب مذهب الجبر ورأيه في رسالته الكون والتكليف تكاد تكون عين لهجة أخوان الصفا في رسائلهم بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذمرها وبين رسائل أخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير وبسط الحجة ولولا ضيق المجال لقارنت بين رسائله ورسائل أخوان الصفا مستخرجاً ما أخذه الخيام منها.

ابن سينا

صرح الخيام مرة أنه تتلمذ لأبي على بن سينا بقوله "ولعلى ومعلمي أفضل المتأخرين الشيخ الرئيس أبو على بن سينا "ص٩٦ الكتاب" وسواء صح هذا الخبر أو لم يصح فإن عمر الخيام قد تهافت على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً وامعاناً وأحاط بجميع آرائه وأفكاره في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق خصوصاً كتبه الشهيرة (كالقانون، والشفاء والنجاة) وكتابه الثاني خاص بالفلسفة.

وقد روى لنا البيهقي نقلا عن ختن الخيام الإمام مُحَمَّد البغدادي عند ما قص عليه خبر وفاته أنه كان يتأمل في كتاب (الشفاء) "ص٩ الكتاب"

وقد أيه هذه الرواية الشهر زوري بقوله وكان يتأمل الإلهيات من (الشفاء) "ص١٣ الكتاب"

ولابن سينا شعر جميل بالفارسية والعربية يدل على قوة بيانه بهما وقد عثرت له على رباعية بالفارسية يرد بها على الذين كانوا يطعنون في عقيدته منزهاً نفسه مما كانوا يلصقونه به.

قال: كفر جومني كزاف وأسان نشود

محكمته أز إيمان من إيمان نشود

در دهر جومن يكي وآن هم كافر

بس درهمه دهريك مسلمان نبود

ليس من الجزاف والسهل جحودي وكفري إذ لا يوجد إيمان أحكم وأقوى من إيماني في الدنيا نظيري واحد وذلك كافر أيضاً؟ إذا فلا مسلم في هذه الدنيا.

وقد اشتهرت قصيدته العينية بالعربية اشتهاراً عظيماً وفيها من المعاني الجليلة والمقاصد العالية والآراء الحكمية ما تستحق لأجله الخلود.

هبطت إليك من المحل الأرفع

ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف

وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما

كرهت فراقك وهي ذات تفجع

الباطنية

ذكر صاحب كتاب " روضة الصفا" الشيخ مير خنده بأن عمر الخيام قد تتلمذ في عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح في نيسابور في مدرسة الموفق النيسابوري وذكرنا الأسباب التي جعلت بعض الباحثين أن يحجموا عن قبول هذه الرواية وقد ناقشناها في كتابنا ص٢٥ وقلنا بأننا قد وقفنا أزاء هذه الرواية وقفة المتردد الذي يشك تارة ويحجم أخرى لكنا لم نشك قط في أن عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح لأن الحسن قد توفي سنة ٥١٨هـ ولأن الخيام قد توفي بين سنة ٥١٧هـ و ٥٣٠هـ وبناء على ذلك فليس هناك من ريب في أن الخيام كان معاصر للحسن.

بيد أن هناك مشكلة لم يحلها أحد بعد وهي ما إذا كان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر وانخراطه في سلك المحفل السري وأخذه المبادئ الاسماعيلية أم لا؟

أننا لم نهتد إلى الآن إلى حل هذه المشكلة ولم نعثر على نص أو وثيقة تاريخية تؤيد لنا وقوع اجتماعها بعد رجوع الحسن من مصر وليس المهم في نظرنا اجتماعهما أثناء دراستهما وإنما المهم هو الاجتماع الأخير. لأن التطور الفكري الذي حصل مع الحسن الصباح كان بعد إيابه من مصر.

وفي اليوم الذي تنحل فيه هذه المعضلة الدقيقة، يرتفع الستار الذي كان يحول بين الباحثين وبين عقيدة الخيام وينتهي تبلهل آراء العلماء في عقيدته فلا يبقي أقل شك في كونه كان باطنياً محضاً.

أما الآن وليس عندي أية حجة تؤيد وقوع اجتماعهما فأنني أجزم بصورة قطعية بأن الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قوياً وتكاد رباعياته تسوقني إلى الاعتقاد بأنه كان من أعظم المبشرين بتلك المبادئ الهدامة ومن أشد المناصرين لها ولعله كان من دعائهم على أني لا أريد أن اتهم الخيام دون أن آتي بالبرهان ولا أحب أن أدعي بهذا الادعاء الذي انفردت به وحدي دون غيري من غير تدليل يؤيده وإليك برهاني على ما ادعيه:

لقد تضمنت الرسالة التي بعث بها الداهية الباطني عبيد الله بن الحسن القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي أشياء كثيرة كان أهمها:

(١) إباحة شرب الخمر وجميع الملذات.

(٢) إنكار النبوات والمعجزات والوحي.

(٣) القول بقدم العالم.

(٤) إبطال القود في المعاد والنشر من القبور

(٥) كون الجنة نعيم الدنيا.

(٦) ووصايا أخرى وكلها ترمي إلى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الإلحاد "الكتاب ٤٩–٥٠".

هذه هي المبادئ التي كانت تسير عليها الباطنية ومن يدقق النظر في رباعيات الخيام يجد أنها تتضمن جميع هذه المبادئ إلا ما كان من أمر إنكار النبوات والمعجزات والوحي والظاهر أن الخيام كان يتجنب مهاجمتها خوفا على حياته وابتعاداً من تعريض نفسه للمخاطر أما اجتراؤه على إباحة شرب الخمر وجميع الملذات والقول قدم العالم من طرف خفي وإبطال القول في المعاد والنشر وإنكار الجنة والنار فأنه محتمل التأويل على الطريقة الصوفية خصوصا التغزل بالخمرة فإنه مباح لا ضير فيه عند أرباب هذا المذهب إذ كانوا يريدون به "خمرة الحب الإلهي" و"لذة السكر المقدس" وفعلا قد أول الصوفية رباعيات الخيام وقلبوا هذه المعاني إلى معاني عرفانية —كما اصطلحوا— على ذلك قد أخرنا القفطي بما وقع إذ قال "وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم..."

على أن القفطي قد أدرك بذكائه ظاهر معانيه وما كان ينزع إليه

الخيام فلم يتردد في الرد عليها بقوله "وبواطنها حيات للشريعة لواسع، ومجامع للأغلال جوامع" –الكتاب ١٤– وفيما يلي أورد بعض رباعياته المتضمنة لبعض المبادئ الباطنية التي استطاع الخيام أن يبثها غير هياب ولا وجل قال:

يك جام شارب صد دل ودين ارزد

يك جرعة مي ملكت جين ارزد

جزباده ناب نيست درروب زمين

تلخي كه هزار بار شيرين ارزد

إن كاسا من الخمرة تعدل ألف قلب ودين وأن جرعة منها تساوي مملكة الصين ليس على وجه الأرض غير الخمرة الصافية وهي المرة التي تفضل الحلو ألف مرة.

وقال:

تا زهره ومه در آسمان كشت بديد

بهتر زمي ناب كسي هيج نديد

من در عجم زمي ضروشان كايشان

به زانجه فروشند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر في المساء ما رأى أحد أحسن من الخمرة الصافية يا عمي من بائعي الخمر أي شئ سيشترون أحسن مما يبيعون؟

وقال:

أي دل تو باسرار معي نرسي

در نكته زير كان دانا نرسي

اينجا بمي وجام بهشتي ميساز

كانجاكه بهشت است رسي يا نرسي

أيها القلب أنت لا تصل إلى الأسرار المعماة ولا تفقه نكات الألباء الفاهمين اجعل لنفسك في هذه الدنيا جنة من الخمر والكأس فإنك لا تعلم اتنالها في تلك أم لا؟

وقال:

جامي ومي وساقي برلب كشت

بهتر زبهشتي كه خبر بودشت رشت

مشنو سخن بهشت ودوزخ ازكس

كه رفته بدوزخ وكه آمد زبهشت

كأس وخمرة وساق في جنب روضة خير من الجنة التي وعدتها لا تسمعن من أحد حديث الجنة والنار من ذا ذهب إلى الجحيم ومن ذا جاء من الجنة؟

وقال:

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتباز

از روى حقيقتي نه أز روي مجاز

بازيجه كنان بديم بر نطع وجود

رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن إلا عيب أطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك أمر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة ي ساحة الوجود ثم ذهبنا إلى صندوق العدم واحداً بعد واحد.

وقال:

در دائرة كامدن ورفتن ماست

آنرانه بدايت نه نهايت بيداست

كس مي نزند دمي درين عالم راست

كاين آمدن ازكجا ورفتن بكاجست

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التي جئنا منها ونذهب إليها لا أحد يستطيع أن يقول من أين هذا المجئ وإلى أين هذا الذهاب.

أرأيت كيف يحضر الخيام على الخمر والملذات وينكر الجنة والنار والمعاد ويصرح بقدم العالم بقوله "لا بداءة ولا نهاية" لهذا العالم وإنما المصير إلى العدم؟ ألا تري معي أن في هذه الرباعيات مسحة من العقائد الباطنية؟ والآن ألا تعتقد معي بأن الخيام متأثر بهذه المبادئ على الأقل؟

موضوع فلسفته

درس الخيام مواضيع كثيرة وبحث في مواضيع شتي وقد تناول بفلسفته ما تناول غيره من المفكرين فتطرق في بحثه عن الحياة وما فيها وخاص المواضيع الطبيعية والرياضية والإلهية والعملية وتكلم عن المادة والزمان والفلك والإله والجبر والتناسخ والبعث والدنيا والعدم ومصير الجسم بعد الموت

المادة والزمان

رأي الخيام في المادة والزمان كرأي سائر الفلاسفة الذين كانوا يقولون في قدم المادة والزمان وقد أكثر القول غير مرة بأن لا بدائة ولا نهاية لهذه الدنيا التي جئنا منها ونذهب إليها ورأيه هذا صريح في قدم المادة وخلودها وخلودها وهو يذهب إلى أن الأجسام متألفة من مادة واحدة وأشكال وصور تختلف عليها والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان أيضا.

قال:

آنهاكه كهن شدند وآنهاكه نوند
هريك يس از آمدن يكايك بروند
اين كهنه جهان بدكس نماند جاويد
رفتند وروند وديكر آيند وروند

أولئك الذين هرموا والذين لا يزالون أحداثا سيذهب كل منهم فرداً فردا بعد مجيئه. لا يخلد في هذه الدنيا القديمة أحد ذهبوا ويذهبون ويأتي غيرهم ويذهبون.

وقال

أين كهنه سراكه عالم أو رانام است

وآرامكه ابلق صبح وشام است

بزميست كه وأمانده صد جمشيد ست

قصر يست كه تكيه كاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمي بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصرا تكاء على الأرائك فيهماية بهرام

الآلة

كان بعض علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويوصمونه بالعقيدة الدهرية وكانوا يستدلون على واجب الوجود بالاستدلال على كون العالم حادثاً غير قديم لأن الشريعة الإسلامية جائت بعقيدة التنزيه وتقوم هذه العقيدة على أن الله أزلي ليس له ابتداء وأنه أوجد العالم من العدم فهو لذلك –أي العالم– حادث أما القول في قدم المادة –أي قدم العالم– لا يناقض وجود الله لأن الله واجب بذاته ولأن لهذه الموجودات علة وهي ملازمة له كما يلازم المعلول علته وحيث قد ثبت بأن الأشياء صدرت عنه صدور المعلول عن علته وجب القول بقدم الأشياء ولما كان

واجب الوجود أزلياً بالعة فالأشياء أزلية بالمعلول وقد سلك الخيام طريق الفلاسفة اليونانيين في الفلسفة الإلهية وهو معتقد بآله هو الخير المحض الذي لا يصدر منه الشر وقد نفي وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين لذلك قال:

قال:

كفتي كه ترا عذاب خواهم فرمود

هركز من ازين خبر هر اسم نفزود

جايي كه توئي عذاب نبود آنجا

ونجا كه تونيستي كجا خواهدبود

تفضلت قائلا: أني سوف أعذبك وأنا لم أخش قط هذا الخبر فإن المكان الذي أنت فيه لا يكون فيه عذاب وأين المكان الذي أنت لست فيه.

قال:

من بنده عاصيم رضاي توكجاست

تاريك دلم نور وصفاي توكجاس

ماراتو بهشت أكر بطاعت يخشي

أين بيع بود لطف وعطاي توكجاست

أنا العبد العاصي فأين رضاؤك أنا المظلم قلبه فأين نورك وصفاؤك أن كنت تهمنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع فأين فضلك وعطاؤك

قال:

نا كرده كنه درجهان كيست بكو

وأنكس كه كنه نكرد جون يست بكو

من بدكنم وتوبد مكافات دهي

بس فرق ميان من وتوجيست بكو

قل لي من هو الذي لم يرتكب ذنباً في الحياة ومن ذا استطاع أن يعيش من غير ذنب يأتيه إذا كنت تجزيني السيئة بالسيئة فما هو الفرق بيني وبينك.

قال:

يا رب خردم درخور إثبات تونيست

وأنديشه من بجز مناجات تونيست

من ذات ترا بواجبي كي دائم

دائندة ذات تو بجز ذات تونيست

ليس لعقلي من السعة لإثباتك. أنا لا أفتكر إلا في مناجاتك أنا لا أعرف ذاتك كما هي ولا يعرف ذاتك إلا ذاتك.

قال:

كر كو هر طاعتت نسفتك هر كز

كرد كنه از جهره نرفتك هر كز

نو ميد نيم زباركاه كر مت

زبراكه يكيرا دونكفتك هر كز

ولو أني لم أثقب جوهر طاعتك ولم أنفض غبار الآثم عن وجهي لست قانطاً من باب كرمك لأنني لم أقل قط عوض الواحد اثنين

فالظاهر من الرباعيات التي أدرجناها الخيام كان معتقداً مؤمناً بوجود آله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حانق.

ورب معترض يقول: أننا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر منكراً وجود حياة أخرى وقد نطقت بذلك رباعياته فكيف نوفق بين اعتقاده بالله وبين إنكاره البعث والنشر وغير ذلك مما صرحت به الشرائع السماوية فالجواب على ذلك هو: قد ينكر الإنسان الشرائع والنبواب والوحي ولا ينكر وجود الإله. والعقل مهتد بذاته إلى الاعتراف بواجب الوجود.

الجبر

صرح الخيام في رباعياته بعقيدته في الجبر مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون وما في الكون من أفراد وجماعات وقال غير مرة بأنه دخل هذه الدنيا مضطراً كارهاً وخرج منها مرغماً كارهاً ولو استشير ما أراد ولو خير ما اختار فهو لذلك لا يطمئن إلى الاختيار وبناء عليه فهو جبري بحت ومذهب الجبر قديم جداً وقد أثبته الشرائع كما فرغت الفلسفة من إثباته والقرآن طافح بالأيات التي نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لأتينا ك

نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) (أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي)

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عند العبد ويثبتون القدر ويقولون أن الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الإنسان مقدرة متعلقة في ذلك الفعل ولا تأثير لتلك المقدرة على الفعل ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات أثر في الفعل ويقولون أن الله مالك في خلقه يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل فلو ادخل الخلائق أجمعين الجنة لم يكن حيفا ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً بل هو في كل ذلك عادل لأن العدل على رأيهم هو التصرف فيما يملكه المتصرف.

وأول من صرح بهذا الرأي هو جهم بن صفوان(٥٧) وهو من الجبرية الخالصة. قلنا أن الفلسفة قد فرغت من إثبات الجبر وذلك لأن الاختيار(٥٨) أما أن يكون متصلا بما قبله وما بعده اتصال لعلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها أولا، فإن تكن الأولى فهو الجبر. أولا يمكن أن يتخلف المعلول عن علته. ولا أن يحول النتيجة عن مقدمتها وإذا فادعاء الاختيار ليس إلا غرورا، وأن تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها، وأصبح العالم ملعباً يختلف فيه المصادفات وهو ما لا شك في بطلانه. إذا فليس عن الجبر، محيد، ولا عن الاضطرار مزحل. ومن مصادر الجبر الإيمان

(٥٧) الملل والنحل للشهر ستاني ص٦٠ طبع ليبسيك.

(٥٨) هذا رأي العلامة الكبير الدكتور طه حسين "ذكري أبي العلاء ص٣٥٢".

بشمول القدرة والعلم الإلهيين فإن شمول القدرة يقتضي أن لا يكون في هذا العالم شيء إلا إذا تعلقت به قدرة الله. فإذا فعل الإنسان شيئا فإما أن يكون مختاراً فيه، أو غير مختار فإن يكن مختاراً فهذا الفعل واجب.

وإن لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لأنه يهدم أصل القدرة، وإن يكن غير مختار فهو الجبر الذي لا شك فيه، إذا فالدين والفلسفة يتظاهران إثبات الجبر وإقامة الأدلة عليه.

وإليك بعض رباعياته التي تضمنت عقيدة الجبر

قال:

من مي خورم وهركه جومن أهل بود

مي خوردن أو نزد خرد سهل بود

مي خوردن من حق زازل ميدانست

كرمي نخورم علم خدا جهل بود

أنا أشرب الخمرة ويشربها كل من هو أهل لها مثلي فإن شربه لها ليس بصعب في نظر العقل لأن الله كان يعلم منذ الأزل بأني سأشربها فأنا إن لم أشربها فعلمه إذا يكون جهلا –خطأ–

قال:

برر هكذرم هزار جا دام نهي

كويكه بكيرمت اكر كام نهي

يك ذره زحكم توجهان خالي نيست

حكمم توكني وعاصيم نام نهي؟

تضع الاشتراك في ألف مكان في سبيلي وتقول إذا وقعت فيها فإني مبيدك لا تخلو ذرة في العامل من سلطانك أنت تقدر على الحكم وأنت تنعتني بالعاصي؟

قال:

از آب وكلم سر شته من جه كنم

وين بشم مرا تو رشته من جه كنم

هرنيك وبدي كه ازمن آيد بوجود

توبر سر من نوشته من جه كنم

ماذا افعل يا إلهي وأنت الذي جبلتني من ماء وطين وأنت الذي غزلت صوفي أنت كتبت على كل ما يصدر مني من خير وشر في هذا الوجود فماذا افعل؟

يزدان جو كل وجود مامي آراست

دانست فعل ماجه بر خواهد خواست

بي حكمش نيست هر كناهي كه مراست

بس سوختن قيامت از بهرجه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالأفعال التي ستصدر منا ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه إذا فلماذا يصلينا في السعير يوم القيامة؟

قال:

آورد باضطرارم أول بوجود

جز حيرتم از جهان جيزي نفزود

رفتيم بإكراه وندانيم جه بود

زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم مني إلى الوجود ولم أردد غير الحيرة في هذه الحياة ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا

وقد عثرت على تصريح صريح لعمر الخيام في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل كان أحداها[٥٩] : أي الفريقين أقرب إلى الصواب وقوله أشبه بالتحقيق: الجبرية القائلون بنفي الأخبار عن الممكن أم القدرية الناسبون إلى العبد خلق أفعاله؟

وقد أجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الأسئلة الثلاث تحليلا علمياً فلسفياً دقيقاً وكان جوابه عن الجبر عريان صريحاً فقد قال:

---

(٥٩) جامع البدائع ص ١٧٥-١٨٠.

ولعل الجبري أقرب إلى الحق في بادي النظر وظاهر الحال من غير أن يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرافاته فإنه حينئذ يبعد عن الحق.

وتصريحه هذا كاف للتدليل على أنه كان جبرياً معتدلا.

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية وظهر في صدر الإسلام وكانت بعض الفرق من الغلاة تدين به كأصحاب عبد الله بن سبا الذي قال بالوهية على عليه السلام ومثل هؤلاء أصحاب أبي كامل الذي كان يدعي أن الإمامة نور يتناسخ منتقلا من شخص إلى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص إمامة وربما تناسخت الإمامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت

ومذهبهم هو أن الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر. وفي كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم.

وقد عثر المستشرق البروفسور "زوكوفسكي" في تاريخ الألفي لمؤلفه "أحمد بن نصر الله تتوي" على رواية استدل بها على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام.

وتتلخص الرواية في أنه كانت في نيشابور مدرسة قديمة وكانت المدرسة في حاجة إلى ترميم وإصلاح وكان سرب من الحمير يحمل الآجر إلى المدرسة وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشي في فناء المدرسة مع

جماعة من التلاميذ شاهد حمارا وقف في باب المدرسة محجماً عن الدخول ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية:

أي رفته وباز آمده بل هم كشته

نامت زميان نامتها كم كشته

ناخن همه جمع آمده وسم كشته

ريش از بس كون در آمده دم كشته

أمي: يا أيها الذي ذهب وعاد مرة أخرى وصار كالأنعام قد ضاع اسمك بين الأسماء وقد اجتمعت أظافيرك وصارت ضلقاً وظهرت لحيتك في عجزك وصارت ذيلا.

وبعد تلاوة هذه الرباعية دخل الحمار المدرسة، فسألوا من الحكيم السبب قال أن الروح التي تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح أستاذ في هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم أن الأصدقاء قد عرفوه دخل انتهي.

هذه هي الرواية التي وردت في تاريخ الألفي وقد عثر عليها المستشرق البروفسور "زوكو فسكي" وهي ولا شك من الروايات المختلفة الي لا ظل لها من الصحة أبدا ومكذبة من وجوه أولا: لم يذكر لنا أحد بأن الخيام كان أستاذا في مدرسة نيسابور ثانيا: الخيام أنكر الحشر وقال بالعدم ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ. ثالثا: إذا صحت هذه الرواية فلا شك في أن خياماً أراد بذلك المزاح والسخرية ومفاكهة تلاميذه وعلى

كل فإن الخيام برئ من هذه التهمة وعقه الراجح ارفع من أن يؤمن بفكرة الأقوام المنحطة.

البعث

لا يرتاب أرباب الديانات في البعث بعد الموت والقرآن نزل جاملا عقيدة حشر الأجسام وقد جاء فيه ذكر يوم القيمة مشفوعاً بالوعد والوعيد والمسلمون مختلفون في كيفية وقوع الحشر فقسك يقول بحشر الأجسام وبعض يدعي ببعث الأرواح دون الأجسام أما أرباب المذهب المادي فإنهم ينكرونه بتاتاً والفلسفة الأفلاطونية تنكر حشر الأجسام وبعث الأرواح لكنها تنزع إلى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت إلى عالم عقلي، والقدماء من المصريين اعتقدوا بخلود الروح ورجوعها إلى الجسد في الدنيا ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الأجسام من البلي.

وكان الخيام منكراً للبعث وقد فهمنا ذلك عند بحثنا في مصادر فلسفته إذ قد برهنا على أنه كان متأثراً بالعقائد الباطنية وقد صرح في كثير من رباعياته بأن فكرة البعث والمعاد وهم وخيال لا حقيقة لها والذي يخاطب الناس بقوله :"أنت لست ذهباً حتى إذا دفنوك أخرجوك وأنت ذهب أيضا" هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد.

الروح

من المشاكل العظيمة التي لم يهتد إلى حلها الناس قديماً وحديثاً مشكلة الروح والجدل حول الروح قديم جداً وقد كثرت فيه الأقوال

والمعتقدات وذهب كل فريق فيه مذهبا خاصاً وكان قد بحث أولا في ماهيته وهل هو متحيز أو حال في التحيز أم موجود غير متحيز ولا حال فيه؟ ثانيا أقديم هو أن حادث؟ ثالثا أيبقي بعد فناء الأجسام أم يفني؟ رابعاً ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاؤها فقيل أنه جزء لا يتجزأ من أجزاء هوائية في القلب وقيل هو الدماغ وهو جزؤ لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة في الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هو الدم المعتدل أد بكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم.

والإمام الغزالي يقول: الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء في إناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم في العالم بل هو جوهر لأنه يعرف نفسه وخالقه ويدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ وشيء لا ينقسم والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا".

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة في رباعياته الأمر الذي كان يدل على أنه كان يعتقد بوجود الروح لكن الشيء الذي لم نفهمه هو أنه هل كان معتقداً بخلود الروح اعتقاد الأفلاطيون أم لا: قال

دریاب که ازروح جدا خواهي شد

دريرده أسرار فناخو اهي شد

من نوش، نداي زكجا آمده

خوش باش نداني بكجا خواهي شد

أفق! أنك ستفترق عن روحك وستفني وراء ستار الأسرار أشرب

الخمرة! أنك لا تدري من أين أتيت وأسعد أنك لا تعلم إلى أين تذهب

قال:

ازتن جوبرفت جان باك من وتو

خشتي دونهند برمغاك من وتو

وأنكه زبراي خشت كور دكران

در كالبدي كشند خاك باك من وتو

حين تخرج من جسدي روحي وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدي ولحدك ثم لأجل لبنتين لقبراخر يضعون ترابي وترابك في القلب(٦٠)

الدنيا

---

(٦٠)وقد وقع لأستاذنا الشاعر الفيلسوف حادث خطير في مصر قبل خمس سنوات وشيخنا مادي بحت لا يطمئن إلى الاعتقاد بخلود الروح وقد صرح بعقيدته هذه في كثير من قصائده الخالدة وقد نشر أثناء بقائه في مصر قصيدة تحت عنوان "الدمع ينطق" أحدث بها هزة في الخواطر فهب بعض الأزهريين وعلى رأسهم عالم أزهري اسمه "الشيخ قطيط" وهاجموا الزهاوي نثراً ونظماً فانتصر له أديب مصر الفذ الأستاذ عباس محمود العقاد الملقي في ظلمات السجون اليوم ولم تنطفئ لهيب هذه الفتنة إلا بعد إياب الأستاذ إلى بغداد وهاك بعض أبيات من القصيدة التي أنكر فيها الروح إنكاراً صريحاً قال:

وسائلة هل بعدان يعبث العلي ... بأجسادنا نحيا طويلا ونرزق

فقلت مجيباً أنني لست واثقاً ... بغير الذي حسي له يتحقق

وهيهات لا ترجي حياة لميت ... إليه البلي في قبره يتطرق

تقولين يفني الجسم والروح خالد ... فهل بخلود الروح عندك موثق

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد أكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذي زهد في عينه الدنيا وكره إليه الحياة، قال:

جون مردن تو مردن يكبار كي است

يكبار بير أين جه بيجاركي أست

خوني ونجاستي ومشني رك وبوست

إنكار بنود أين جه غمخوار كي است

لما كان موتك مرة واحدة. مت مرة واحدة. ما هذه المسكنة؟ دم ونجاسة وصم من عظم وجلد فما هذه المحنة من أجل شيء تافه حقير.

قال:

دنيا مراد راند كير اخرجه

وين نامه عمر خوانده كبير اخرجه

كيرم يكام دل بماندي صد سال

صد سال ذكر بمانده كير اخرجه

ما العقبي إذا بلغ المرء من الدنيا المراد. وما الغاية إذا قراء الإنسان كتاب أعماله. فلنفرض أنك نلت مرامك ماءه عام. وعش بعدها ماءة أخرى فما هي النتيجة.

قال:

دنيا نه مقام تست، نه جاى نشست

فرزانه در أو خراب أولتير دمست

براتش غم زباده أبي ميزن

زان بيش كه در خاك روي باد بدست

ليست الدنيا بدار قرار ودار إقامة. أفضل للحكيم فيها أن يكون ثملا وفانياً اسكب ماء الخمرة على نار الغموم قبل أن تذهب إلى القبر صغر اليدين.

ولعل من أسباب كراهية الخيام للحياة أنه كما يرى أن وضع الخليقة غير صحيح ولا مستند إلى أسس جيدة وأن نظام الحياة الحاضر لا يجلب السعادة والسلام. وقد تمني في إحدى رباعياته أن تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمه ويبني فلكا جديداً يبلغ فيه الأحرار مرامهم بسهولة.

قال:

كر برفلكم دست بدي جون يزدان

بردا شتمي من أين فلكرا زميان

از نو فلك دكر جنان ساختمي

كآ زاده به كام دل رسيدي آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنة خاق لقضيت على هذا الفلك ولخلقت فلكا غيره على أن يبلغ المرء فيه مراءه بدون عناء.

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين باعتساف وكم أوصي الكواز بالرفق وكم صاح بالناس أن يخففوا الوطأ في مشيهم على الأرض قائلا أن الجام الذي تشربون به الخمر والكوز الذي تشربون منه الماء والتراب الذي تطأونه بأقدامكم هو من عين أحوز أغن وخد ميحة عذراء ورأس كيخسرو وكف أفريدون وهو في كل ذلك يقدم موعظة للمغرورين في الحياة ميناً لهم مصيرهم وهو في أثناء ذلك ينعي جسده ويبكي جثمانه بحرقة وألم: قال

أين كوزه جو من عاشق زاري بودست

در بند سر زلف نكاري بودست

أين دسته كه در كردن أو ميبيني

دسيست كه در كردن ياري بودست

كان هذا الكواز مثلي صباً قد علق بفرع مليحة هيفاء وهذه العروة اتي تراها في جيدها كانت يدأ تعتنق إحدى الحسان

أين كوزه كران كه دست در كل دارند

عقل وخرد وهوش بران بكمارند

بر كل لكد وتبانجه تاجند زنند

خاك بدنست تاجه ميبندارند

هؤلاء الكوازون الذين أيديهم في الطين. منحصرة عقولهم وأفكارهم فيه إلى متى يركلون ويصفعون الطين، هذه أجسام حتى م هذه الظنون؟

هان كوزه كرا بياي اكر هشياري

تاجند كني بركل ادم خواري

انكشت فريدون وكف كيخسرو

برجرخ نهاده جه ميبنداري

أيها الكواز أن كنت واعياً. حتى م تهين طينة الإنسان. إن الذي وضعته على الدوار هو أنملة فريدون وكف كيخسرو ماذا تظن؟

مذهبه الفلسفي

أما وقد فرغنا من البحث في موضوع فلسفته فلم يبق سوى أن نقول كلمتنا في مذهبه الفلسفي وتعني بذلك نوع عقيدته واتجاه نظره في الحياة أو بالأحري تحقيق الغاية التي كان يستهدفها والمقصد الذي كان يرمي إليه وهذا الموضوع يضطرنا إلى أن نقف موقف الحكم للبت في عقيدته والإنصاف يحملنا على التصريح بأنه من الصعب جداً إصدار حكم عادل فيه إذ ليس هناك من أدلة قوية وقرائن قطعية تخولنا أن نحكم على حكيم مفكر سلخ أعواما طوالا في البحث والتفكير في شؤون الحياة غير صحائف صفراء بالية تعرضت لشخصه ورباعيات هي نفثات جاشت في صدره ففاض بها لسانه وقد طواه الردي فهرع إلى أحضان الأبدية قبل تسعة عصور.

قبل تسعة عصور رقد الخيام في لحده في نيسابور ولم يترك بعد رحلته الأبدية غير بضع رسائل ورباعيات تناولها الباحثون في حياته وأدبه واتخذوها حجة عليه ومداراً للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفي.

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون في أدب الخيام وذهبوا في عقيدته مذاهب شتي ورجموه بالظنون فمن منكر لشخصه ومن مدع أنه كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا ومن زاعم أنه كان صوفيا يتغني بجمال الله ثملا بخمرة الحب الإلهي المقدس وقائل أنه كان مرتابا متشائماً إلى غير

ذلك من الأقوال والمدعيات وكل ما لديهم من سند للحكم عليه فهو أقواله ورباعياته.

ولكن ما قيمة هذه الرباعيات في إصدار الحكم عليه، وليس لنا من العلم ما يحقق أن الرباعيات المتداولة الآن بنماءها هي لعمر الخيام. وأنها نتاج قريحته وحدها وأنها بريئة من شوائب الهس والانتحال.

وقد بينا عند بحثنا في رباعياته اختلاف العلماء الباحثين في عددها "راجع ص٨٩ من الكتاب".

ولنسلم جدلا بأن لا أثر لأقل شبهة في كون هذه الرباعيات كلها له من غير شائبة فيها للدس والانتحال فهل يصح أن تعتبر حجة على الخيام جريا على القاعدة العلمية القائلة "يؤخذ المرء بإقراره".

الجواب على ذلك: كلا؟ وإليك السبب

سمعت الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ينشد:

عبـــد تـــك لا أدري ولا أحـــد دري   أســـرك أم صـــدر الطبيعـــة أوســـع
عبدت اسمك المحمود في الليل والضحي   إذ الشـــمس تســـتخفي إذ الشـــمس
فأيقنـــــت أن الكـــــون بالله قـــــائم   وأيقنـــــت أن الله للكـــــون مبـــــدع
وأنـــــك معـــــني والخليقـــــة لفظـــــه   وأنـــــك نـــــور والخليقـــــة برقـــــع

ثم اشتهر عنه بيتان وقد سمعناه يقرأهما متحذراً محتاطاً والبيتان لا

يشم منهما الاعتقاد بالله والإيمان به.

لمـا جهلـت مـن الطبيعـة سـرها وأقمـت نفسـك في مقـام معلـل

أثبـــت ربا تبتغـــي حـــلا بـــه المشكلات فكـان أكـبر مشكل

والآن فباي القولين نأخذ وبأيهما نحتج على عقيدة الزهاوي وإيمانه بالله وكيف نستطيع أن ندعي بأن الزهاوي مؤمن أو نقول أنه غير مؤمن وبين أيدينا شعران متناقضان وبأي شئ نتوسل لحل هذه العضلة أنقول أن الزهاوي ملحد لا يؤمن بالله وقد أراد أن يتقي الأخطار بالأبيات المتقدمة أم نقول أنه مؤمن ولكنه أحب أن يتعمد الكفر لأسباب لا نعلمها لا ندري؛ والعلم لم يتوصل إلى الآن إلى قراءة ما تسكنه الضمائر وتخفيه الصدور.

لنرجع إلى البحث في الرباعيات كي نرى ما إذا كان في الإمكان اعتبارها حجة عليه أو لا؟

إن الشكوك التي تعترينا في هذا الصدد فتصدنا عن إصدار الحكم عليه كثيرة وأهمها أنه لم يثبت إلى الآن بالبرهان القوي أن الرباعيات الموجودة في أيدينا كلها لعمر الخيام ثم أننا نجهل الوقت الذي نظمها فيه.

أنظمها في عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهو أجس وخطرات كثيرة أم في عهد هولته وفي الكهولة نضوج العقل وتوازن الفكر واستقامة الرأي أم في دور شيخوخته وفي الشيخوخة ضعف الأعصاب وارتباك الخواطر أم نظمها خلال حياته جميعها. كل أولئك مجهول لدينا إذ

ليس لكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذي نظمت فيه.

هبن أننا عثرنا على رباعيات خطها الخيام ببراعته وهبنا أننا علمنا بأنه قد نظمها في عهد نضج فيه عقله واستقام فيه رأيه وفكره وقوى فيه منطقة وتوازنت محاكمته فهل يصح أن نستدل ونحتج بها على نوع العقيدة والمذهب الذي يدين به الخيام؟

الجواب على ذلك: كلا...

ليس في هذه الحياة شئ ثابت، فالكون والإنسان والحيوان والنبات والمذاهب والأراء والمعتقدات كل أولئك عرضة للتطور على الدوام والاستمرار وليس في الكون حقيقة ثابتة إلا الشك وقد اشتبه في الأحكام التي يصدرها العقل واتهم بالضلال والشعور منهم أكثر منه لكونه معرضاً للاندفاعات والخلاف موجود بين الناس حتى في المحسوس.

إذا فما قيمة التصريح والإنسان عرضة في كل وقت للتطور وما قيمة القول والمرء يتقلب بين عيشة وضحاها وفق ميوله وعواطفه وأهوائه وما قيمة الرأي إذا كان الرأي وليد انفعالات نفسية عاطفية وما قيمة العقيدة إذا كان ما تراه حسناً أراه قبيحاً وما تراه فضيلة راه رذيلة وما تراه شرا أراه خيرا؟ وليس في أيدينا مقاييس وقواعد قطعية نستطيع أن نميز بين الحسن والقبح والفضيلة الرذيلة والشر والخير ولذلك يتعذر البت في عقيدة أي كان فضلا عن الخيام المحاط بالغموض والإبهام.

وأنا أتهيب من أن أسند إليه أمراً وكل ما لديه من الحجج هو بعض

قطع من شعره –رباعياته– خشية أن أسئ إلى الرجل بإسناد أمر ليس له ضلع فيه وإذا كان لابد من إبداء الرأي في هذا الصدد فإني أحمل نفسي على إبداء رأيي وأنا شاك مرتاب كل الارتياب فيما أقوه وازعمه واستغفر الخيام في لحده استغفر روحه من كل هفوة ومن كل ما أنسبه إليه وهو برآء منه أقول:– إن الذي بدي لي من رباعيات الخيام –أنه كان حجم الشكوك كثير الارتياب، عظيم الاضطراب، ذا روح قلقة محاطة بالهواجس والخطرات ونفس متألمة مكتنفة بالوساوس والخيالات وقد ظهرت شخصيته في رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق مما يدفع الباحت إلى الاعتقاد بأنه كان "لا أدريا".

اللاادرية

واللاادرية مذهب فلسفي يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشري عن إدراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها وبعجز العلم اللدني عن الوصول إلى فهم هذه المجردات وكان الخيام كما قد ظهر لي من رباعياته لا أدريا يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم في كثير من رباعياته بعجزهما عن إدراك سر الحياة ومن ذلك قوله:

آنانكه به كار عقل در ميكوشند
هيهات كه جملة كاو نرميدوشند
آن به كه لباس ابلهي در يوشند
كامروز به عقل تره مي نفروشند

أولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل هيهات أنهم يحلبون ثور الأجدر بهم أن يتقمصوا البلاهة إذ لا يشتري اليوم بالعقل باقة من حشيش.

آنانكه محيط فضل وآداب شدند

واز جمع كمال شمع أصحاب شدند

ره زين شب تاريك نبردند برون

كفتند فسانه ودرخواب شدند

أولئك الذين أحاطوا بالفضل والأدب من جمع الكمالات أصبحوا شموع المجالس والأصحاب لم يهتدوا إلى الطريق في هذا الليل الدامس وإنما فاهوا ببعض الأساطير وناموا.

دل سر حيات اكر كما هي دانست

در مرك هم أسرار آلهي دانست

أمروز كه باخودي ندانستي هيج

فرداكه زخود روي جه خواهي دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هي لعرف أيضاً في الموت الأسرار الإلهية أنت لا تعلم شيئاً وأنت مع نفسك فماذا تعلم غداً إذا تجردت عنها

قومي متفكرند در مذهب ودين

جمعي متحيرند درشك ويقين

تاكاه منادي در آيد زكين

كاي بيخبران راه نه آنست ونه أين

قوم يتفكرون في المذهب والدين، وجماعة محتارة بين الشك واليقين وإذا بالمنادي يهتف بهم من عالم الغيب أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك.

يظهر مما قدمنا أن عمر الخيام كان "لا أدريا" كما نطقت بذلك رباعياته وأنه قد اعترف بعجز العقل البشري والعلم اللدني عن إدراك المجردات غير أن لا أدريته ألقيت في نفسه أثرا سيئاً بعث فيه روح التشاؤم وجعله ينظر إلى الحياة نظر قانط وبغض إلى قلبه الدنيا وما فيها فتمني العدم وآثره على الوجود وما تمني العدم والفناء إلا لأنه كان يخافها.

كلنا نشعر بدافع الغريزة بأننا مفطورون على حب البقاء وحب البقاء يدفعنا إلى أن نحب الحياة لما كان الموت آفة الحياة فكلنا نشعر بأننا نخاف الموت ونفر منه وإذا ذكر أحدنا الموت ارتعدت فرائضه وصابته هزة عنيفة في شعوره ووجدانه فلا أدرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من "الموت– الفناء" كل ذلك ولد فيه التشاؤم.

إذا فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء لهذا نري الخيام يتمني لو أنه يعود مرة أخرى إلى الحياة ولو بعد مآت الآلوف من السنين كما يعود العشب

ايكاش كه جاي آرميدن بودي

يا أين رده دوررا رسيدن بودي

كاش أزبي صد هزار سال از دل خاك

جون سبزه أميد برد ميدن بودي

يا حبذا لو كان للراحة محل ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ويا حبذا لو كان هناك أمل في العودة إلى الحياة بعد مات الألوف من السنين كما يعود العشب من قلب التراب

التشاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر في ديانة البوذيين ويقوم على أن العقل يرتأي أن كل شئ في الدنيا سئ ورديئ بل أردأ ما يمكن أن يكون وأن مجموعة الشرور في الحياة تنعدي مجموعة الخيرات وقد شمات هذا العقيدة الحياة كلها وكان أساس موضوعها صلة الإنسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والألم(٦١)

على أنه يجب التفريق بين المتشائم وبين المعتقد بفلسفة التشاؤم فالخيام لم يكن متشائما ماقناً للحياة كأبي العلاء المعري الذي أروى في عقر

---

(٦١) ونقيض مذهب التشاؤم مذهب التفاؤل الذي نشأ على يد الحكميين اليونانيين سقراط وأفلاطون ويقوم على أن الحياة جميلة في جميع وجوهها أو على الأقل أن الخير في هذه الحياة غالب على الشر وقد نظمت الأمور بحيث أن الإنسان يرى في هذه الحية سعادة أكثر مما يري فيها شقاء.

داره وسمي نفسه "رهين المحبسين" ولا أشك في أن الخيام قد متع نفسه بالملذات ولم يقصر في اقتناص ساعات السرور لكني أعتقد أنه كان معتقدا بفلسفة التشاؤم والفرق بين المعري والخيام في هذا المطلب هو أن المعري كان متشائما بنفسه ومعتقداً بفلسفة التشاؤم أيضا فتسميته لنفسه "رهين المحبسين" وانزواءه عن الناس دليل على أنه يحمل روحا متألمه متشائمة وقوله بأن الشر طبع وأن جذوره متأصلة في قلوب الناس دليل على اعتقاده بفلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لأن الخيام اندفع إلى التشاؤم بسبب "لا ادريته".

وهناك من يرى أن التشاؤم والمعتقد بفلسفة التشاؤم مريض أصيب بأمراض عصبية روحية عقلية أو لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة أو أنه سليل أبوين أحدهما مصاب بمرض أرثي والتشاؤم ينشأ ويتفشي في المناطق الحارة الموبوءة والمفعمة بالأساطير والخرافات(٦٢)

ولعل الفتر والمرض من أهم الأسباب والعوامل في تكوين التشاؤم وفيما يلي نثبت بعض رباعيات تفصح عن تشاؤمه قال:

مائيم درلو فتاده جون مرغ بدام

دلخسته روز كار وآشفته مدام

سر كشته درين دائرة بي در وبام

(٦٢) رأي المربي الكبير ساطع بك الحصري.

نا آمده برمراد ونار فته به كام

وقعنا في هذه الحياة وقوع الطير في الفخ مفؤدين من الدهر طائشين على الدوام تائهين في هذه الدائرة التي لا سطح لها ولا باب لاجتنابا اختيارنا ولا ذهبنا بإرادتنا

قال:

جون حاصل آدمي دارين شورستان

جز خورون غصه نيست ياكندن جان

خرم دل انكه از جهان ببرون شد

آسوده كسي كه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الإنسان في هذه الحياة ذات الفتن إلا الألم وعذاب النفس فطوبي لمن خرج أو لم يجئ إليها

روزي كه دو مهلنست ميخور مي تاب

كاين عمر دو روزه برنكردد درياب

داني كه جهان رو بخرابي دارد

تونيز شب وروز همي باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فإن هذا العمر الذي هو عبارة عن يومين لا يعود إليك مرة أخرى أنت تعلم أن مصير الكون آيل إلى الخراب فكن أنت خراباً ليلا ونهاراً.

ولما رأى الخيام أن عقله قاصر عن إدراك سر الحياة وأن عمر الإنسان قصير وعرضة للآلام والشرور ارتأي أن خير وسيلة تنقذ نفسه من هذه الهواجس والخطرات الأليمة والشكوك المضنية أن ينتهز الفرص وأن يتمتع ما استطاع بملذات الحياة وأن لا يحزن لما يلاقيه في غد وان لا يتحسر على ما خسره بالأمس وأن يقطع صلته من الماضي والمستقبل وأن يهتم بالساعة التي هو فيها.

وصفوة القول أن شكوك الخيام ويأسه وآلامه دفعته إلى الأخذ بالفلسفة السليمة وهي أشد خطرا من غيرها على البشرية

روزي كه كذشته است ازو يادمكن

فردا كه نيامده است فرياد مكن

برنامده وكذشته فرياد منه

حالي خوش باش وعمر برباد مكن

لا تذكر اليوم الذي مضي ولا تجزع من غد لم يأت بعد ولا تفزع مما لم يأت ومما مضي طب نفساً ولا تنغص عيشك

قال:

مي نوش كه عمر جا وداني اين است

خود خاصيت دور جهاني اين است

هنكام كل ومل است وياران سرمست

خوش باش دمي كه زندكاني اين است

اشرب الخمرة لأنها الحياة الدائمة هي وحدها مزية الدنيا. الوقت وقت ورد وطرب والإخلاء سكاري أسعد لحظة هذه هي الحياة

قال:

أين عقل كه در راه سعادتي ويد

روي صد بار خود ترا ميكويد

در ياب تواين يكدمه فرصت كه نه

آن تره كه بدروند وديكر رويد

هذا العقل الذي يطوي طريق السعادة يقول لك في اليومماية مرة افق أنت في هذه الفرصة لست كالنبات الذي كلما حصدوه نبت

هذا هو رأيي في الخيام ومنه يفهم أنه كان –على ما أظن– لا أدريا متشائماً سلبياً ولست أدري أكان الخيام كما بينت أو لم يكن على أني لا أزال شاكل مرتابا فيما قلته وأني أعود فاستغفر روح الخيام إذا كنت قد هفوت أو أسندت إليه ما ليس فيه.

نظراؤه

ابن الشبلي البغدادي

ومن الذين يضارعون الخيام في التفكير ويشابهونه في الإحساس والشعور ويشاركونه في التذمر والشك حذر القذة بالقذة حكيمان عربيان هما الشاعران مُحَّمد بن الحسن بن عبد الله الشبلي أبو على الشاعر الحكيم البغدادي وأبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف الكبير.

وكان ابن الشبلي معاصراً لعمر الخيام، وقد ولد وتعلم ومات في بغداد إلا أن المؤرخين لم يكتبوا ويا للأسف ترجمة مفصلة له. وقد بذلت جهداً عظيمً لاقف على ترجمته فلم أظفر بطائل وكل ما ورد عنه في كتب المترجمين مثل ابن أبي أصيبعة وابن خلكان أنه توفي في محرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ٤٧٣هـ ودفن بباب حرب وكان شاعراً مجيدً وله ديوان شعر وكان ظريفاً نديماً مطبوعا.

وقد وجدت لابن الشبلي شعرا عربيا عليه مسحة من روح الخيام وتفكيره ونفحة من شعره وفيه نفس التذمر والشك والتشاؤم الموجود في رباعيات الخيام فكان ابن الشبلي ترجم الرباعيات أو كان الخيام ترجم شعر ابن الشبلي وكأنهما شربا هذه المعاني من معين واحد وأخذا هذه الآراء من

منهل واحد.

وفيما يلي ندرج بعض قطع شعرية لابن الشلبي تدل على وجود مقاربة ومشابه في الشعور والتفكير بين الحكيمين الفارسي والأدبي.

غابة الحزن والسرور وانضاء ... ما لحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد باربد مات حزنا ... وسلت عن شقيقها الخنساء
مثل ما في التراب يبلي الفتي ... فالحزن يبلي من بعده والبكاء
غير أن الأموات مروا وابقوا ... غصصا لا تسيغها الأحياء
إنما نحن بين ظفر وناب ... من خطوب أسودهن ضراء
نتمني وفي المني قصر العمر ... فنغدو كما تسر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا ... اقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلاكا ... ن ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب ... كرهت فيه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما ... تهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلماً تمر بنا ... الأيام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكو ... ن فما النفوس منه اتقاء
وقليلا ما يصحب المهجة ... الجسم ففيم الشقاء وفيم
قبح الله لذة لشقانا ... نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد ... فإيجادنا علينا بلاء

وله:

بربــك أيهــا الفلــك المــدار أقصــد ذا المســير أم اضــطرار
مــدارك قــل لنــا في أي شــيء ففــي أفهامنــا عنــك انبهــار
فطـــوق في الهجـــرة أم لا هلالــك أم يــد فيهــا ســواد
وفيــك الشــمس رافعــة شــعاعا بأجنحــة قوادمهــا قصــار
ودنيــا كلمــا وضــعت جنينــاً عــراه مــن نوائبهــا طــوار
هــي العشــواء مــا خبطــت هشــيم هــي العجمــاء مــا جرحــت جبــار
فكــم مــن بعــده عفــر وعقــر يضــير ومــا بــلا ليــل نهــار
لقــد بلــغ العــدو بنــا منــاء وحــل بآدم وبنــا الصــغار
وتهنــا ضــائعين كقــوم موســى ولا عجــل أضــل ولا خــوار
فيالــك أكلــة مــا زال فيهــا علينــا نقمــة وعليــه عــار
نعاقــب في الظهــور ومــا ولــدنا ويــذبح في حشــا الأم الحــوار
ونخــرج كــارهين كمــا دخلنــا خــروج الضــب أخرجــه الوجــار
وكانــت أنعمــاً لــو أن كــوناً نشــاور قبلــه أو نستشــار
ولا أرض عصــته ولا سمــاء ففــيم يغــول أنجمهــا انكــدار

وله:

وكأنمــا الإنســان فيــه غــيرة متلــوناً والحســن فيــه معــار
متصــرف ولــه القضــاء مصــرف ومكلــف وكأنــه مختــار

طـوراً بـه تصـبو الحظـوظ وتارة حـظ تحيـل صـوابه الأقـدار
تعمـي بصـيرته وتبصـر بعـدما لا يسـترد الفائـت استبصـار
فنـراه يؤخـذ قلبـه مـن صـدره ويـرد فيـه وقـد جـرى المقـدار
فيظـل يضـرب بالملامـة نفسـه نـدما إذا لعبـت بـه الأفكـار
لا يعـرف التفـريط في إيـراده حـتى يبينـه لـه الإصـدار

أبو العلاء المعري

كنت في أثناء درسي لرباعيات الخيام لشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين عمر الخيام وأبي العلاء المعري وكنت كلما أمعنت النظر في أقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين، ولو أن توأمين نشآ في حضن أب وأم وتعلما في مدرسة واحدة وتربيا في بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة في الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فتماثلت أخلاقهما وطباعهما وتقاربت أراؤهما ونظراتهما في الكون، لقلنا أن المعري والخيام أخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكان المشيئة الألهية قد قدتهما من أديم واحد وجبلت طينتهما في آنية واحدة وفي آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين

إن من غريب الاتفاق أن يكون الحكيمان متماثلين في الأخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بأيديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لأمور غامضة أجل شأنا وأعظم قدراً من حطامها وكلاهما

متطلع تائق إلى أسرار الحياة معنى بها، وكلاهما أبي النفس صادق القول مطلق الرأي جرئ على البوح بمذهبه، إلا فترات كانا كلاهما يراعي فيها خواطر الناس خشية الأذي والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئا من حطام الدنيا، ولو أرادا لنالا وفراً وذهباً وفضة، وكلاهما عاش عزباً لم يتزوج وكلاهما نشا في عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالآراء الفلسفية، إذ في عصرهما ظهر مذهب الإسماعيلية والباطنية وفي عصرهما اجتمع أخوان الصفاء خفية وأبرزوا رسائلهم الشهيرة. وأقوال الفيلسوفين على تقارب في العلوم والمعارف. أما تآليفهما فقليلة أيضاً وأما السياسة في زمانها فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة في سورية في عصر المعري.

وأما فارس فقد كانت رحي الحرب فيها دائرة كل المدة التي عاش فيها الخيام فإنه نشأ في أكناف الدولة السلجوقية التركية التي قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم إلا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسع سلطان هذه الحكومة في أيام ملكشاه ٤٦٥-١٨٥ الذي كان يجل عمر الخيام إجلالا عظيما حتى عهد إليه بناء الرصد وترتيب الزيج. وفي عهده أسس زميله وشريكه في الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفي أيامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الآخر (نظام الملك) بطعنة باطني.

ولادتهما ووفاتهما

تضاربت آراء الباحثين في السنة التي ولد فيها عمر الخيام كما

اختلفت في السنة التي توفي بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون أن وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت أقوال عديدة في وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨–٥٣٠ وعلى كل حال فإنه توفي في أوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام –وهو تلميذ خيام– أنه زار قبره في نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له أن الخيام توفي منذ سنوات.

اتهامهما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوماً بضعف العقيدة الإسلامية متهما بالزندقة وكانت لفظه "الزنديق" في عصره تطلق على الأحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور وقد أودت هذه التهمة بحياة الكثيرين من الفضلاء أمثال صالح بن عبد القدوس وبشار بن برد ومنصور الحلاج والسهروردي قتيل حلب وغيرهم.

أما أبو العلاء المعري فقد ذكروا أنه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بأبي القاسم فطلب منه بعض الناس أن يقرأ بعضاً من الأي الكريم فقرأ "ومن كان في هذه أعمي فهو في الآخرة أعمي وأضل سبيلا" يريد بذلك إهانة الشيخ والتعريض به، وقد تألم أبو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين.

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذي يرويه عنك الناس؟ قال: قوم حسدوني فكذبوا على وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي: "والأخرة" فقال أبو العلاء "والأخرة؟" ثم أطرق ولم يكلمه حتى قام عنه

المنازي.

وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له أبو العلاء لم أهج أحدا، قال صدقت إلا الأنبياء وقال فتغير لونه.

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعري فقد قال فيه "شيخ نجم الدين الرازي" في كتابه "مرصاد العباد" أنه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين الطبيعين وقد احتج نجم الدين على زندقة الخيام بالرباعيتين التاليتين:

در دائرة كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت بيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن ازكجا ورفتن بكجاست

لا بدأ ولا انتهاء لهذه الدائرة التي جئنا منها لا أحد يستطيع أن يعلم من أين هذا المجئ وإلى أين هذا الذهاب.

دار نده كه تركيب طبائع آراست
باز ازجه سبب فكندش اندركم وكاست
كرز آنكه بد آمداين صور رعيب كراست

ورنيك أمد خرابي از بهرجه خواست

لأي سبب يهدم الله الحياة والإنسان بعد أن كان هو الذي ركب الطبائع فإذا جاءت رديئة فألعاب يعود عليه وإذا كانت جيدة فلماذا يخربها؟

وقد أيد هذه الرواية (القفطي) في كتابه تأريخ الحكماء بقوله:

(ولما قدح أهل زمانه في دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشي عى دمه وأمسك قلمه وحج متاقاة لا تقية وأبدي اسراراً من السرار غير نقية. إلخ) وهذا القول يدل على أن الناس كانوا يناوئونه ويتناشونه بالكلام القارص. وفيما يلي نثبت رباعيتين لعمر الخيام في الرد عليهم قال:

أي مفتي شهر ازتوير كار تريم

يا أين همه مستي زتو هشيار تريم

ما خون دزان خوريم وتوخون كسان

أنصاف بده كدام خونخوار تريم

يا مفتي المدينة أنا أحسن منك عملا ومع كثرة سكرنا فأنا أصحى منك أنا أشرب دم العنقود وأنت تشرب دم الناس فا بنا شراب الدماء؟

شيخي بزن فاحشة كفتا مستي

هر لحظة بدام ديكري يا بستي

كفتا شيخا هر آنجه كوئي هستم

أما توجنانجه منيمائي هستي

قال شيخ معمم لفاحشة أنت سكري. وفي كل ساعة مربوطة بخليل فقالت له الفاحشة يا شيخ أن الذي قلنه صحيح لكنك أأنت أنت كما تظهر للناس؟

اعتقادهما بالجبر

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائماً به. فقد نص أبو العلاء المعري في مقدمة اللزوميات على أنه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً ألفه بفضاء خفي لا يعرف كنهه وحقيقته. وقد ذكر الجبر في اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً إياه ومناضلا عنه فمن قوله فيه:

خرجت إلى ذي الدار كرهاً ورحلتي ... إلى غيرها بالرغم والله شاهد

فهل أنا فيما بين ذلك مجبر ... على عمل أم مستطيع فجاهد

ما باختياري ميلادي ولا هرمي ... ولا حياتي فهل لي بعد تخيير

جئنا على كره ونرحل رغما ... ولعلنا ما بين ذلك نجبر

وردت إلى دار المصائب مجبراً ... وأصبحت فيها ليس يعجبني النقل

ولم نحلل بدنيانا اختياراً ... وكلن جاء ذاك على اضطرار

أما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً في الجبر بصورة لا يحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل في عصره عن ثلاث مسائل (أحداها) كيف صدر ملازيم التضاد والشر عن الواجب مع البت بأنه عز وجل يتعالى عن أنه يكون مصدر شرا أو ظلم وحور ومع القول بامتناع تعدد الواجب (الثانية) أي الفريقين أقرب إلى الصواب وقوله أشبه بالتحقيق: الجبرية القائلون بالجبر ونفي الاختيار عن الممكن. أم القدرية الناسبون إلى العبد خلق أفعاله (الثالثة) أن قوماً يقولون بأن البقاء من صفات المعاني أي أنه صفة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم؟

فأجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الأبحاث تحليلا دقيقا.

وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً في الجبر فقد قال —وأما سؤاله عن أي الفريقين أقرب إلى الصواب فلعل الجبري أقرب إلى الحق في بادئ الرأي وظاهر النظر من غير ان يتلجلج في هذيانه ويتغلغل في خرقاته فإنه حينئذ يبعد عن الحق جدا.

أما رباعياته فقد دلت على اعتقاد بالجبر قال:

آورد باضطرارم أول بوجود

جز حيرتم ازجها نجيزي نفزود

رفتيم باكراه وندانيم جه بود

زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي مضطرا إلى الوجود ولم أزدد غير الحيرة في هذه الحياة. ذهبنا مكرهين. ولم نعلم المقصود من مجيئنا وبقائنا وذهابنا.

برر هكذرم هزار جاد أم نهي

كوني كه بكبرمت اكر كام نهي

يك ذره زحكم توجهان خالي نيست

حكمم تركني وعاصيم نام نهي

تضع الإشراك يا إلهي في ألف مكان من سبيلي وتقول أنك إذا وطأتها فأنا تهلكك. لا تخلو ذرة في العالم من حكمك، أنت تحكم وتقدر علي وأنت تسميني بالعاصي؟

البعث بعد الموت

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح إلى الجسد في الدنيا، وكان فلاسفة اليونان الإلهيون ولا سيما أتباع أفلاطون يعتقدون بخلود الروح إلا أنهم كانوا مؤمنون يبعث الأرواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الأجساد التي لا تلبث أن يتطرق إليها البلي بعد دفنها، وزعموا أن الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد إلى عالم ملسكوي قدسي عقلي وهناك تحيي حياة أما شقية وإما سعيدة لقاء ما أتته في الحياة من آثام أو أعمال مبرورة أما أرباب الديانات فرأيهم صريح في البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الأرواح وحشر الأجساد ومن ينكر البعث بعد

الموت يكفر وعقابه القتل، والقرآن طافح بالآيات التي يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين أقوال كثيرة وأراء عجيبة في هذا البحث.

وقد أنعمنا النظر في رباعيات عمر الخيام فوجدناه منكراً للبعث إنكاراً صريحاً مسفهاً رأي القائلين بحشر الأجساد ومستهزئاً بأقوالهم قال:

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند

فرماي بيش كه غمهات شبيون آرند

فرماي كه قاباده كلكون آرند

وزرنه أي غافل نادان كه ترا

درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل أن تهجم عليك غمومك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية أيها الغافل الجاهل أنت لست ذهبا حتى إذا واررك التراب أخرجوك مرة أخرى.

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتباز

أز روي حقيقتي له ازروي مجاز

بازيجه كنان بديم برنطع وجود

رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألا عيب أطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك أمر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا إلى صندوق العدم واحداً أثر واحد.

فقوله "أنت لست ذهباً حتى إذا واروك التراب أخرجوك مرة أخرى، وقد ذهبنا إلى صندوق العدم واحداً بعد واحد" دليل على أنه لم يكن معتقداً بالحشر كما يعتقد به المسلمون.

أما أبو علاء المعري فقد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيما فكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فمن قوله الذي أثبت فيه البحث:

وأني لأرجــو منــه يــوم تجــاوز فيـأمر بي ذات اليمـين إلى اليسـري
إذا راكـب نالـت بـه الشـأو فاقة فمـا أينقـي إلى الظوالـع والحسـرى
وادأنـف بعـد المـوت مما يـريبني فمــا حظــي الأدني والأيــدي

ومن قوله الذي أنكر فيه البعث انكاراً صريحاً:

ضـحكنا وكـان الضـحك مناسـفاهة وحـق لسـكان البسـيطة أن يبكـوا
تحطمنــا الأيام حــتى كأننــا زجـاج ولكــن لا يعـاد لــه سـبك

وقوله:

أمــا الجســوم فللــتراب مالهــا وعييــت بالأرواح أني تســلك

على أنني ارتأي أنه كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الأجسام

وخلود الأرواح، وأما الأبيات التي نظمها في إثبات البعث فقد نظمها تقية وخوفاً وسخط الجمهور عليه.

أخذهما بالتقية

وكان أبو العلاء المعري يرى التقية ومداراة الناس ويحتاط في إظهار أرائه ويعول على المجاز كثيرا إذ كان يخشي الأذي والاضطهاد وفي لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله:

أصدق إلى أن تري في الصدق مهلكه وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله:

فاصمت فإن كلام المرء يهلكه وإن نطقت فافصاح وإيجاز

وقوله:

اهوي الحياة وحسبي من معايبها أني أعيش بتمويه وتدليس
اكتك حديثك لا يشعر به أحد من رهط جبريل أو من رهط ابليس

فهذه الأبيات تدل على أن أبا العلاء كان سيئ الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له.

وقد حذا عمر الخيام حذو أبي العلاء المعري وسلك طريقة في دفع الأذي والضرر عن نفسه فقد ذكر "الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن القاضي الأشرف يوسف القفطي" ما نصه: "ولما قدح أهل زمانه في دينه

واظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك عن عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وأبدى أسراراً من السرار غير نقية".

ومما يؤيد قول القفطي الصراحة البارزة في بعض رباعياته التي يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم إفشاء ما يكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم.

باهر بد ونيك راز نتوانم كفت	كوته سخنم دراز نتوائم كفت
حالى درام كه شرح نتوانم داد	رازي دارم كه باز نتوانم كفت

لا أستطيع أن أبوح بسري لكل طيب وخبيث أنا قصير الكلام لا أستطيع أن أطيله لي حال لا أستطيع أن اشرحها وسر لا أستطيع أن اقوله.

ولا سيما أن عصر الخيام كان طافحاً بجماعات من المتصوفمة العمي الأبصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين أعمي التعصب الممقرت أفئتهم واطفأ سراج عقولهم فكان من حقه أن يتكتم وأن لا يبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون.

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التي انزلت بزملائهم وانسبائهم في الرأي من الأحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من أجل ذلك عذاباً أليما.

والنطع الذي اضجع عليه صالح بن عبد القدوس، والسياط التي الهبت جسدا لحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر، والجذع الذي صلب عليه الصوفي الشهير أبو منصور الحلاج، والسيف الذي بتر عنق الفيلسوف السهر وردي وغيرهم من الفطاحل الأفذاف إلى غير ذلك من الفجائع والوقائع الأليمة –كانت عبراً ودروساً.

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا أن الإنسان إذا مات أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته وانتصهامة فيرجع إلى رأس القبر على رأس كل مائة سنة. وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لا هامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب في صدر الإسلام وذلك منذ أواخر القرن الأول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كأصحاب عبد الله بن سبا[٦٣] الذي قال لعلي عليه السلام (أنت أنت) أي أنت الإله فنفاه إلى المدائن فادعي بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد على. ومثل هؤلاء أصحاب أبي كامل[٦٤] الذي كان يدعي أن الإمامة نور يتناسخ متنقلا من شخص إلى شخص وذلك النور يكون في شخص نبوة وفي شخص يكون إمامة وربما تناسخت الإمامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت. والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان

(٦٣) وتسمى هذه الفرقة السبئية.

(٦٤) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢و١٣٣ من كتاب الملل والنحل.

التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة. ومذهبهم أن الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك هو معني الحلول وقد يكون الحلول بجزء كإشراق الشمس في كوة أو كإشراقها على البلور وإما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ أربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ.

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن أولئك الشاعر السيد الحميري الذي أعماه التعصب فأخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الأداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميري وسخافاته.

وقد عثر المستشرق (zokovski) زوقوفسكي في تاريخ الألفي على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ في نفس عمر الخيام فقد ذكروا أنه كان أستاذا في مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة في حاجة إلى ترميم وإصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الأجر إلى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشي مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول إليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ في أذنه هذه الرباعية.

أي رفته وباز آمده بل هم كشته

نامت زميان نا مهاكم كشته

ناخن همه جمع آمده وسم كشته

ريش از بس كون در آمده دم كشته

يا أيها الذي ذهب وعاد مرة أخرى وصار كالأنعام قد ضاع اسمك بين الأسماء لقد اجتمعت أضافيرك وصارت مطلقاً وظهرت لحيتك في عجزك فصارت ذيلا.

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فأجابهم أن الروح التي حلت في جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار في الدخول إليها غير أنه لما شاهد أصحابه الأقدمين رضي بالدخول.

والذي ينعم النظر في هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا أن يعتقد بأنها من القصص الملفقة المصطنعة وأنها من نوع الأحاديث التي يختلقها العوام لأن هذا الرجل الذي دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره –على رجاجة عقله وسعة علمه لا يمكن أن يسف هذا الإسفاف وأن يتفوه بهذا الرأي المبتذل المأفون هذا من جهة ومن جهة أخرى أن رباعياته التي اشتهر بها والتي أودعها آراه الفلسفية تكاد تسوق الباحث إلى الاعتقاد بالحادة ونكرته البعث والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض. لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة.

وقد كان أبو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران وفي لزومياته فقال:

يقولـون أن الجسـم ينقـل روحـه إلى غـيره حـتى يهذبـه النقـل
فـلا تقـبلن مـا يخبرونـك ضـلة إذا لم يؤيـد مـا اتـوك بـه العقـل

تشاؤمهما

إن سيرة المعري والخيام وشعرهما وأراءهما في الكون تدل على أنهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين أن كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس أشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وأن كل شئ في الكون الخبيث ردئ وأن جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وأن الأم الحياة وبؤسها وشقاءها أكثر من مسراتها وأفراحها.

والتشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الأمزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان خالق آلامهم وعلة أرجاعهم وهذا المرض يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوة القليلة الأرزاق الفقيرة التي ما فيها عمل ولا كسب وكثيرا ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لا يلبث أن ينقلب إلى تفاؤل وفرح وسرور أن تحسنت الحالة فهو إذا عند عامة الجمهور ضرب من الشكوي الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتي زالت الحاجة زال التشاؤم سريعا.

أما عند الحكماء المفكرين فأمره عظيم شأنه كبير فإنه يتولد في نفوسهم من سلسلة الفكرات العميقة والتأملات الطويلة في شؤون غامضة وأمور مبهمة لم يتوصل العقل البشري إلى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعلتها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث أو قديم وهل هو محدود ومتناه أو غير محدود وغير متناه والأزلية والسببية والمبدأ والمنتهي والمعاد والروح والخلود إلى غير ذلك من الأسرار والألغاز التي ما تأمل فيها أحد إلا رجعت تأملاته على أعقابها وتسرب إليه الريب ومال إلى الشك قسراً لا اختيارياً والشك الذي هو نتيجة عدم إدراك هذه المعميات هو الذي يولد (التشاؤم) ويورث الألم واليأس. وفي الحقيقة إذا فكر الإنسان في علة وجود هذا الكون وفي سبب هذه الخليقة والإيجاد والبقاء والانتقال إلى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفي موته الذي تخلي به عن رجائه وأمله وأمانيه يشعر ولا ريب بهزات عنيفة في وجدانه وصدمات قوية في شعوره وإحساسه واستيلاء يأس مظلم مخيف وخيالات مريعة وأحلام محزنة والإنسان مفطور على حب البقاء في الحياة على ما فيها من وجع وكثر وافة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هي التي تورث التشاؤم الذي لا مندوحة عنه ما دام موقآبها.

وقد أعدت الراحة الكبري لمن كان معتقداً يكون له ابتداء وانتهاء أوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما أوجده وإن هناك حشرا ونشرا وحسابا وعقابا وأن هناك جنة عرضها السموات والأرض فيها حور عين وأباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون أعدت للمؤمنين الصالحين وأن هناك نارا ملتهبة فيها ألوان من العذاب أعدت للمجرمين

الأثمين.

فهذا الأمل الرائع يمنح المعتقدين راحة وسلاماً وأماناً في الحياة فطوبي للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب.

وأنا أبا العلاء المعري الذي تدل كلماته وأقواله على أنه كان عنادياً بحتا مرتاباً في وجود خالق صانع مدبر، حائرا في سبب الخليقة والإيجاد والفناء، شاكا في العقائد التي من ضمنها الحشر والمعاد والخلود –يجب أن يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هو الواقع. وأنك لتجد عند قراءة (لزومياته) صيحاته الأليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه في شعره من أسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم.

وهذه الأراء التي ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التي ألمت به بفقدان بصره وموت أبيه وأمه وفقره ووهنه هي التي أشعلت في قلب الشيخ جذوة اليأس والألم فراح يكيل للأديان السباب وللأنبياء الشتم وللناس القذع، ماقتا الحياة وسكانها مرسلا خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم، معتزلا عن الناس، قابعا في كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضني واليأس والبؤس وهل هناك برهان أقوى على مقته الحياة من إيصائه أن يكتب على قبره:

هذا جناه أبي على وما جنيت على أحد وقوله:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقــدي ناظــري ولــزوم بيــت وكون النفس في الجسد الخبيث

وقوله:

تعــب كلهــا الحيــاة فمــا اج حب إلا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس:

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب في لؤمــه والنــاس كالنســناس
وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت أشخرص حزأم شخوص أناس
عــرب وعجــم دائلــون وكلنــا في الظلم أهل تشابه وجناس

وقوله:

والشـر طبـع وقـد بثـت غريزتـه مقسـومة بـين أنـواع وأجنـاس
ســجايا كلهــا غــدر وخبــث توارثهــــا أناس عــــن أناس

وقد تزاحمت هذه الأفكار في رأس عمر الخيام كما تزاحمت في رأس صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على إحساسه وشعوره حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها أنه تمني أنه لو لم يكن مخلوقاً في الدنيا.

كر آمد نم بمن بدي نامدي
ورنيز شدن بمن دي كي شدمي
به زآن نبدي كه اندرين عالم خاك

نه أمدي نه شدمي نه بدمي

لو كان مجيئ باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت أن أخلق. الأفضل أنني لم أكن في هذا العالم ولم أجئ إليه ولم أخلق ولم ابق فيه.

لقد علمنا مما تقدم ذكره أن كلا الحكيمين اتفقا على أن الحياة خطب وبلاء فقد اتحدوا واتفقا على تشخيص الداء إلا أنهما اختلفا في الدواء:

الخمرة- المنية

كان عمر الخيام يرى أن الوسيلة الوحيدة إلى النجاة من آلام الحياة السلافة وكان المعري يرى أن المنية هي الوسيلة إلى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به أبو العلاء الموت. وفي طاقتنا أن نقول أن نفس المعاني التي ذكرها المعري في الموت جعلها الخيام في الخمر فقد ذهب في المغالاة بمدحها والإسراف في حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض الباحثين أن يسيئوا به الظنون ويعتبروا أقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام في الخمرة مذهب أكثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون أن فيها راحة للنفوس وتسكيناً للأوجاع وتخفيفاً للآلام والأكدار ومما ينسب إلى الحكيم الفارابي في هذا المعني

قوله:

بزجــــاجتين قطعـــت عمـــري	وعليهـــا عولـــت أمـــري
فزجاجــــة ملئـــت بحـــبر	وزجاجـــة ملئــــت بخمـــر
فبـــــذي أدون حكمـــــتي	وبــذي أزيــل همــوم صــدري

وتدل رباعياته على أنه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وإنما اتخذه دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وأنه كان يرى السلافة هي الوسيلة الوحيدة إلى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله:

مي خوردن من نه از براى طرب است

ني بهر فساد وترك دين وادب است

خواهم كه ببيخوري ر آرم نفسي

مي خوردن ومست بودنمزين سبب است

ليس شرب الخمرة من أجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب.

إنما أريد أن أتنفس الصعداء وأنا ذاهل عن نفسي فشربي الخمرة وسكري لهذا السبب.

از امدن بهار واز رفتن دي

أوراق وجود ماهمي كردطي

مي خور مخور اندره كه كفتست حكيم

غمهاي جهان جوز هرو ترياكش مي

ين مجئ الربيع وذهابه تنطوي أوراق وجودنا. اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم إن الأم الحياة ودرياقها الخمر.

وقد ظن بعض الباحثين أن السلافة التي يتغني بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) أو (خمرة الحقيقة) أو (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة أن هذا الظن باطل غير صحيح فإن عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وإنما تغزل بالمشعشة الحمراء بنت الكروم لإبادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم.

وقد وصف الخيام المدامة بأوصاف دقيقة بديعة تدل على أنه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلا فهو في وصفه الرائع أشبه بأبي نؤاس في وصفه لها حتى لقد سن للسكاري قانونا في كيفية تعاطيها قال:

كرباده خوري توباخرد مندان خرر

يابا صنمي لاله رخي خندان خرر

بسيار مخور ورد مكن فاش مساز

اندك خور وكه كاه خوروبنهان خور

إذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء أو مع مليح ضحرك ذي محيا منير ولا تشرب كثيرا ولا تفحش في الكلام اشرب قليلا وين آونة وأخرى وفي الخفاء:

أما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه في هذا المعني وأكثر من ذم الخمرة وقيحها وندد بشار بيها وزعم أنها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الأحباب وقد أجهز على السلافة في لزومياته فمن ذلك قوله.

وحاذر من الصهباء فهي عدرة　　　من الصهب مشت في مفاصلك السكرا

وقوله:

البابلية باب كل بلية　　　فتوقين هجوم ذاك الباب

جرت ملاحاة الصديق وهجره　　　وأذي النديم وفرقة الأحباب

أم الحباب وأن أميت لهيبها　　　بمزاجها وافت كأم حباب

هتكت حجاب المحصنات وجشمت　　　مهن العبيد تهضم الأرباب

وتوهم الشيب المدالف أنهم　　　لبسوا على كير برود شباب

وإذا تأملت الحوادث ألفيت　　　صهب الدنان أعادي الألباب

وقوله:

دبيب نمال من عقار تخالها　　　بجسمك شر من دبيب

ولو أنها كالماء طلق لأوجبت　　　قلاها أصيلات والنهي

تجرع موت لا تجرع لذة　　　من الخمر في كاساتهم والأبارق

قلنا غير مرة أن الخيام والمعري كانا يربان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها أما الخيام فقد رأي أن أحسن وسيلة تنجيه منها هي (الخمرة) وأما المعري فقد ذمها وكان يرى أن الموت هو الدواء الشافي وكان

يتغلب للفرج على يد المنية وقد تمناها في كثير من شعره فمن قوله:

أمـا حيـاتي فمـالي عنـدها فـرج فليـت شـعري عـن مـوتي إذا قـدما
صـحبت عيشـا أعانيـه ويغلبـني مثـل الوليـد يقـود المصـعب
وقـد مللـت زمـانا شـره لهـب إذا دنا لخبـو عـاد فاحتـدما
مـن باعـني بحيـائي ميتـة سـرحا بايعتـه وأهـان الله مـن نـدما

وقوله:

رب مـتى ارحـل عـن هـذه الـدنيا فـإني قـد أطلـت المقـام
م أدر مـا نجمـي ولكنـه في الـنحس مـذ كـان جـري
فـلا صـديقي يترجـي يـدي ولا عـدوي يتخشـي انتقـام
والعـيش سـقم للفـتي منصـب والمـوت يأتي بشـفاء السـقام
والـترب مثـواي ومثـواهم ومـا رأينـا أحـدا منـه قـام

وقوله:

مللت عيشي فعجوي يا منية بي وذقـت فنـين بـؤس ومـن رغـد
غدي سيوجد أمسي لا ينازعني في ذاك خلـق وأمسـي لا يصـير

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحكيمان أيضا في قضية مصير الجسم بعد موته فكان أبو العلاء تارة يحفل بجسم الإنسان بعد موته وتارة لا يرغب في تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لأنه لا يحس ولا يتألم فمن قوله في تكريم الجسم:

خفف الوطأ ما اظن اديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
سر أن اسطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

ومن قوله في عدم تكريمه:

تكرم أوصال الفتي بعد موته وهن إذا طال الزمان هباء

وقد غالي المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق أمواتهم.

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم وذاك اروح من طول التباريح
أن احرقوه فما يخشوه من ضبع تسري إليه ولا خي وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتا غبا واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعني فكان مبالغا في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلا أنها أجسام بشرية يجب أن تعامل بالحسني.

أي كوزه كران نكوش اكر هشياري
تا جند كني بر كل آدم خواري
انكشت فريدون وكف كيخسرو
بر جرخ نهاده جه مي بنداري

أيها الخزافون اسمعوني أن كنتم منتهين: حتى م تظلمون طينة أبن آدم. أنكم قد وضعتم أصبع فريدون وكف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون؟

دي كوزه كري بديدم اندر بازار

برباره كلي لكد همي زد بسيار

وآن كل ريان حال باوي ميكفت

من همجو توبوده أم مرانيكو دار

رأيت أمس خزافا في السوق وكان يركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت يا هذا مثلك فعاملني بالحسني.

وقد عاش الشيخين عزبين ولم يتزوجا وكان رأي المعري في المرأة سيئا وكان يكره النسل ويرى الزواج اثما وجرما عظيمين فلم يشا أن يجني على غيره كما جني أبوه وفي ذلك يقول:

وارحت أولادي فهم في نعمة العـ	ـدم الي فضلت نعيم العاجل
ولو أنهم ظهروا لعانوا شدة	ترمي بهم في موبقات الآجل
فالبث وحيدا لا وصيـ	ـفة في ذراك ولا وصيف

ومع أن الخيام عاش بلا ريب أعزب فلم نطلع على رأيه في الزواج والمرأة والنسل.

القسم الثاني

رباعياته

قومي متفكرند در مذهب ودين

جمعي متحيرند درشك ويقين

ناكاه منادئ در آيد زكمين

كاي بيخبران راء نه آنست ونه اين

قوم يتفكرون في المذهب والدين، وآخرون محتارون بين الشاه واليقين وإذا بمناه يهتف بهم من عالم الغيب، أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك.

أي مفتئ شهر ازتوير كار تريم

با اين همه مستي زتو هشيار ثريم

ماخون رزان خوريم وتوخون كسان

أنصاف بده كدام حونخواثريم؟

نحن يا مفتي المدينة أصلح منك عملا، ومع كل هذا السكر أصحي منك، أنا نشرب دم العنب،وأنت تشرب دم الناس فانصف أينا أشد سفكا للدماء

شيخي بزن فاحشة كفتا مستي

هر لحظة بدام دكري يابستي

كفتا شيخا هر آنجه كويي هستم

أما تو جنانجه منيمائي هستي

قال شيخ لفاحشة أنت سكري وفي كل لحظة متعلقة بشخص فقالت أيها الشيخ إن الذي قلته صحيح لكنك أنت أنت كما تظهر للناس.

آنانكه به كار عقل در ميكوشند

هيهات كه جمله كاو نر ميدوشند

آن به كه لباس ابلهي دربوشند

كامروز به عقل تره في نقروشند

أولئك الذين همتهم الجهد من طريق العقل، هيهات أنهم يحلبون ثورا، الأجدر بهم أن يتقمصوا البلاهة، إذ لا يشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش.

إيكاش كه جاي آرميدن بودي

يا أين ره دوررا رسيدن بودي كاش ازبي صد هزار سال از دل خالك

جون سبزه اميد برد ميدن بودي

يا حبذا لو كان للراحة محل، ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل، ويا حبذا لو كان هناك أمل في العودة إلى الحياة بعد مآت الألوف من السنين، كما يعود العشب من قلب التراب.

دل سر حيات اكر كما هي دانست

در مرك هم أسرار آلهي دانست

امروز كه باخودي ندانستي هيج

فرداكه زخود رومي جه خواهي دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هي، لعرف أيضا في الموت الأسرار الألهية، أنت لا تعلم شيئاً اليوم وأنت مع نفسك، فماذا تعلم غدا إذا تجردت عنها.

قومي متفكرند در مذهب ودين

جمعي متحيرند درشك ويقين

ناكاه منادئ در آيد زكمين

كامي بيخبران راه نه آنست ونه أين

قوم يتفكرون في المذهب والدين، وآخرون محتارون بين الشك واليقين، وإذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب، أيها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك.

جون مردن تومردن يكبار كي است

يكبار بمير اين جه بيجار كي است خوني ونجاستي ومشتي رك وبوست

انكار نبود اين جه فمخوار كي است

لما كان موتك مرة واحدة، مت مرة واحدة ما هذه المسكنة دم ونجاسة وصم من عظم وجلد، فما هذه المحنة من أجل شئ تافه حقير.

كبرفكم دست بدي جون يزدان

بردا شتمي من أين فلكوا زميان

ازنو فلك دكر جنان ساختمي

كآزاده به كام دل رسيدي آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك، هيمنة خالق، لقضيت على هذا الفلك، ولخلقت فلكا غيره، على أن يبلغ المرء فيه مرامه بدون عناء.

آورد باضطرارم أول بوجود

جز حيرتم از جهام جيزي نفزود

رفتيم باكراه رندانيم جه بود

زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم مني إلى الوجود، ولم ازدد غير الحيرة في هذه الحياة، ذهبا مكرهين، ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا.

يزدان جو كل وجو دما مي آراست

دانست زفعل ماجه بر خواهد خواست

بي حكمش نيست هر كناهي كه مراست

سرسوختن قيامت از بهرجه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين، كان يعلم بالأفعال التي ستصدر منا، ليس خارجا من حكمه كل ذنب تقترفه إذا فلماذا يصلينا في السعير يوم القيامة.

در رهكذرم هزار جا دام نهي

كويي كه بكيرمت اكر كان نهي

يك ذره زحكم توجهان خالي نيست

حكم توكني وعاصيم نام نهي

تضع الإشراك في ألف مكان في سبيلي، وتقول إذا وقعت فيها فإني مبيدك، لا تخلو ذرة في العالم من سلطانك، أنت تقدر على الحكم وأنت ثنعتني بالعاصي.

از آب وكلم سرشته من جه كنم

وين يشم مرا تورشنه من جه كنم

هرنيك وبدي كه از من آيد بوجود

توبر سر من نوشنه من جه كنم

ماذا اصنع يا آلهي وأنت الذي جبلتني من ماء وطين، وأنت الذي غزلت صوفتي، أنت كتبت على كل ما يصدر منى من خير وشر في هذا الوجود، فماذا اصنع.

ـ١٤ـ

عمرت تاكی بخود برستی كذدر

یا در بي نیستی وهستی كذرد

مدوش كه عمری كه اجل دربي اوست

آن به كه بخواب یا بمستی كذرد

حتى مَ يمرّ عمرك في عبادة نفسك، أو في الافتكار في الوجود والعدم، اشرب الخمر فان العمر الذي يعقبه الموت يحسن أن ينقضي في النوم أو السُكر.

ـ١٥ـ

تازهره ومه در آسمان كَشت بديد

بهتر زمي ناب كسی هیج ندید

من در عجیم زمي فروشان كدیشان

به زانجه فروشند جه خواهند خرید

منذ ظهرت الزهرة والقمر في السماء، ما رأى احد أحسن من الخمرة الصافية، يا عجبي من بائعي الخمر أي شيء سيشترون احسن مما يبيعون!

ـ١٦ـ

كَر من زمی مغانه مستم، مستم؛

كَر كافر وكَبر وبتیرستم هسّم

هر طايفه بمن كماني دارند؛

من زان خودم، جنانك هستم، هستم

انا أن كنت ثملاً بخمرة المحوس فانا ذاك، وان كنت كافراً أو مجوسيًا أو و... فانا ذاك، لكل قائفة ظنّ فيّ، انا انا فملك نفسي اكون كما اريد

_١٧_

اين قافله عمر عجب ميگذرد

در ياب دمى كه باطرب ميكذرد

ساقي فم فرداي قيامت جه حوري؛

بيش آر يياله كه شب ميگذرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً، فاعتم وقتاً تطرب فيه، ايها الساقي! مالك مهموماً من القيامة في غد؛ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء.

_١٨_

روزي كه گذشته است ازوياد مكن

فردا كه نيامده است فرياد مكن

برنا مده وگذشته فرياد منه

حالى خوش باش وعمر برباد مكن

لا تذكر اليوم الذي مضى، ولا تجزع من غدٍ لم يأت بعد، ولا تفزع

مما لم يأت ومما مضى، طب نفساً ولا تنغص عيشك.

_١٩_

مائيم دراو فتاده حيون مرغ بدام

دلخسته روز گاد وآشفته مدام

سركشته درين دائرة بي در وبام

نا آمده بر مراد ونارفته به كام

وقعنا في هذه الحياة وقوع الطير في الفخ، مفؤدين من الدهر، طائشين على الدوام. تائهين في هذه الدائرة التى لا سطح لها ولا باب، لا جئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا.

_٢٠_

تاهُشيارم طرب زمن بنهانست

جون مست شوم در خردم نقصا نست

حاليست ميان مستي وهُشياري

من شادم از آن كه زندكاني آنست

ما دمتُ صاحياً. فالطرب خاف عني، واذا ثملت نقص عقلى، انما بين الصحو والسكر، حالة هي وحدها لذة الحياة.

_٢١_

كويند بمن بهشت باحور خوشست

من ميكويم كه آب انكور خوشست

اين نقد بكير ودست ار أن نسيه بدار

كاواز دهل شنيدن از دور خوشست

يقولون لى الجنة طيبة بالحور وانا اقول ماء العنب- الخمر- هو الطيب، خذ هذا النقد وذر ذلك الوعد، فان صوت الطبل من البعيد حسن.

_٢٢_

كر باده بكوه در دهي رقص كند

ناقص بود آنكه باده را نقص كند

از باده مرا توبه جه ميفرمايى؛

روحسيت كه أو تربيت شخص كند

أن سقيت الحبلَ خمراً رقص الجبل، ناقص من يتنقص من قدرها- يذمها- اتطلب اليّ أن اتوب من شرب الخمرة، وهي تلك الروح التي تربي الإنسان.

_٢٣_

مى نوش كه عمر جاوداني اينست

خود خاصيت دور جهاني اينست

هنكام كل ومل است ويا ران سرمست

خوش باش دمی که زندکانی اینست

اشرب الخمرة لانها الحياة الدائمة، وهی وحدها مزيّة الدنيا، الوقت وقت ورد وطرب، والاخلاء سكآرى، اسعد لحظة! هذه هی الحياة.

_٢٤_

وان پیش که عمهات شبیخون آرند

فرمای که تاباده کلکون آرند

توزر نه أي غافل فادان که ترا

در خاك نهند وبار بیرون آرند

قبل أن تهلك همومك، مرهم أن يأتوك بمدامة ورديّة. ايها الجاهل الغر! انت لست ذهباً ليدفنوك في التراب ثم يخرجوك.

_٢٥_

من بنده عاصیم رضای تو کجاست

تاریك دلم نور وصفای تو کجاست

مارا تو بهشت اكر بطاعت بخشي

آن بیع بود لطف وعطای تو کجاست

انا عبدك العاصي، فاين رضاؤك، انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك، أن كنت تهبنا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعاً، فاين لطفك وعطاؤك؛

_٢٦_

اين جرخ جو طاسيست تكون افتاده

دروى همه زير كان زبون افتاده

بر دوستئ شيشه وساغر نكريد

لب بر لب ودر ميانه خون افتاده

أن هذه السماء كطاس مقلوبة وفيها كل الاذكياء إذلاّء. انظروا إلي الصداقة بين الابريق والكأس، الشفاه فوق الشفاه وبينمها الدم.

_٢٧_

تاجند اسير رنك وبر خواهي شُد

جند از بى هو زشت ونكو خواهي شد

كر جشمه زمزمى وكر آب حيات

آخر بدل خاك فرو خواهي شد

إلي كم انت تصبو إلي اللون والرائحة، وتركض وراء كل طيب وخبيث، ستغور في باطن الأرض، حتى لو كنت ماء زمزم أو ماء الحياة.

_٢٨_

جون ميكذرد عمر جه شيرين وجه تلخ

بيمانه جو ير شود جه بغداد جه بلخ

مى نوش كه بعداز من وتو ماه بسى

از سلخ بغره آيد از غره بسلخ

ما دام العمر ينقضي، فيسان عندى حُلوه ومرّه، واذا امتلأت الكأس «مت» فسيان عندى امت في بغداد ام في بلح، احس يا صاح كئوس الحميا، فان القمر سينتقل من بعدى وبعدك من السلخ إلي الغرّة ومن الغرّة إلي السلخ كثيراً

_٢٩_

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم

ايزد داند كه آنتيه أو كفت نسيم

ليكن جو در اين فم آشيان آمده ام

آخر كم از آنكه من بدائم كه كيم؛

اخطأ العدوّ بقوله انى فلسفى، وقد علم الله انى لسه كما قال، ولكنى اذ وجدت نفسي في دار الغم «الدنيا» فلا أقلّ أن اعرف من انا؛

جز راه قلندران ميخانه ميوى،

جز باده وجز سماع وجز يار مجوى،

بر كف قدح باده وبر دوش سبوى؛

مى نوش كن أي نكار ويهوده مكوى.

لا تملك غير سبيل قلندرية الحانة، ولا تتطلب غير الخمرة والسماع

والحبيب، ضع القدح على كفك والدن على متنك واشرب ايها الجميل ولا تقل هجرا.

_٣١_

سيم ارجه نه مايه خرد مندانست،

بي سيمان دا باغ جهان زندانست؛

ازدست نهي نفشه سربر زانوست،

در كيسه در دهان كل خندانست.

ولو أن الفضة لا تكون ذخيرة العقلاء، لكن روض الحياة سجن للمفلسين ها هي البنفسحة نكست رأسها لخلو حوفها، وها هي الورده باسمة الغر في كسبا الذهبي

_٣٢_

در جشك محققان جه ذيبا وجه زشت،

منزلكه عاشقان جه دوزخ جه بهشت؛

بوشيدن بيدلان جه اطلس جه بلاس،

زير سر عاشقان جه بالين وجه خشت،

سواء في نظر المحققين –العقلآء– الجميل والقبيح وسواء في نظر العاشقين مثوى الجنة والنار، وسوآء لدى المسلوب قلبه، الحرير والمنسوج الخشن، وسوآء لدى العاشقين توسد الريش والحجارة.

ـ٣٣ـ

دنيا نه مقام تست نه جاى نشست،

فر زانه در أو خراب أو ليتر ومست؛

بر آتش غم زباده آبى ميزن،

زآن ييشس كه در خاك روى باد بدست.

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة، أفضل للحكيم فيها أن يكون ثملاً ومصروعاً، اسكب ماء الخمرة على نار الغموم، قبل أن تذهب إلي القبر صفر اليدين.

ـ٣٤ـ

دنيا بمراد رانده كير آخر جه؛

وين نامه عمر خوانده كير آخر جه؛

كيرم كه بكام دل بماندى صد سال،

صد سال ذكر بمانده كير آخر جه؛

ما العقبى إذا بلغ المرء من الدنيا المراد؛ وما الغاية إذا قرأ الإنسان كتاب اعماله؛ فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام، وعش بعدها مائة عام فما هي النتيجة؟!

ـ٣٥ـ

از تن جو برفت جان باك من وتو،

خشتی دونهند بر مغاك من وتو؛

وآنکه زبرای خشت کود دکران،

درکالبدی کشند خاك باك من وتو.

حين تخرج من الجسد روحی وروحك الطاهری يضعون لبننين على لحدی ولحدك، ثم لاجل لسنين لقبر آخر يضعون ترابی وترابك في القالب.

_٣٦_

در ياب! كه از روح خواهي شُد،

در بر ده اسرار فنا خواهي شد؛

در بر ده اسرار فنا خواهي شد؛

مي نوش! ندابي زكجا آمده،

خوش باش! ندابي بكجاخو اهي شد.

انتبه- اعلم-! انك ستفترق عن روحك وستفني ورآه ستار الاسرار، اشرب الخمرة! انك لا تدري من اين اتيت، واسعد! انك لا تعلم إلي اين تذهب.

_٣٧_

سير آمدم أي خداي ازهستي خويش،

از تنك دلی واز نهی دستی خويش؛

از نسيت جو هست ميكني بيون آر،

زين فيستيم بحرمت هستى خويش.

مللت يا آلهي وجودى وضيق صدرى وفراغ يدى، يامن يجعل من العدم وجوداً اخرجنى من عدمى بحرمة وجودك.

_٣٨_

خيام كه خيمه هاي حكمت ميدو نت،

در كوره غم فتاد ونا كاه بسوخت؛

مقراض اجل طناب عمرش ببريد،

دَلاّل امل برايكانش بفروخت.

وقع الخيام الذى كان يخيط خيم الحكمة في كور الغيم واحترف، وقد قطع مقراض الاجن طناب عمره، وباعه دلاّل الأمل رخيصاً.

_٣٩_

كر باده خوري توبا خرد مندان خور،

يابا صنمي لاله رخ وخندان خور؛

بسيار مخور، فاش مكن، ورد مساز،

اندك خور، وكه كاه خور، وبنهان خور.

أن تشرب الخمرة. فاشربها مع العقلاء أو مع جميلة بامسة موردة الخدين، لا تشرب كثيراً، لا تفشي شربك لاحد، لا تلهج بها، اشرب قليلا، وبين آونة واخرى، وفى الخفآ– سراً–.

ـ٤٠ـ

کرمی نوشد کدا به میری برسد،

ورد بهکی خورد به شیری برسد،

ورد ییر خورد جوانی از سر کیرد،

ورز آنکه جوان خورد به بیری برسد.

إذا شرب الفقير الخمرة رأى الأمارة في نفسه، واذا شربها الثعلب رأى السبعية في نفسه، واذا شربها الشيخ جدد لنفسه عهد الشباب، واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة –طال عمره–.

ـ٤١ـ

سر دفتر عالم معانى عشق است،

سرر یت فصبده جوانی عشق است؛

أي آنکه حبر نداری از عالم عشق،

این نکته بدان که زندکانی عشق است.

العشق عنوان عالم المعاني، ومطلع قصيدة الشباب فاعلم أنها القافل عن عالم العشق هذه النكنة، أن الحياة هي العشق.

ـ٤٣ـ

یك نان به دو روز کر شو دحامسل مرد،

وزکرده اشکسته دمی آبی سرد،

مأمور كسى دكر جرا بايد بود؛

ياخدمت جون خودي جرا بايد كرد؛

إذا وجد المرء رغيفاً في يوميه أو وجد في بعض الاحيان في كوز مكسور جرعة ماء بارد، فلماذا يكون تحت امرة غيره، أو في خدمة من يضاعيه؛

_٤٣_

ابريق مى مرا شكستي ربيّ!

برمن در عيش رابيستى ربى،

بر خاك فكندى مى كلكون مرا،

حاكم بدهن مكر تومستى ربى؛

يا آلهى حطّمت ابريق مدامى، واوصدت باب الأنس في وجهي، سكبت على الأرض خمرتي الوردية، تراب بفمي هل انت سكران ياربي؟!

_٤٤_

فا كرده كاه در جهان كبست بكو!

وانكس كه كنه نكر دجون زيست بكو!

من بد كنم وتوبد مكافات دهى؛

بس فرق ميان من وتو جيست بكو؛!

يا آلهى قل من الذي لم يأثم في الدنيا، وكيف يلبث فيها من لا يأثم

فاذا كنت تقابلني على سيئتي بسيئة مثلها اذاً فما الفرق بيني وبينك؛!

_٤٥_

نازم به خرابات كه اهلش اهلست،

جون نيك نظر كنى بدش هم سهلست؛

از مدرسة بر نخاست يك اهل دلى،

ويران شود اين خرابه دار الجهلست.

اتباهى بحانات الخمر فان اهلها اكفاء واذا انعمت النظر في طالحهم وجدته لا بأس به، لم ينبغ احد من المدرسة من ذوى القلوب النيّرة لتهذم هذه الخرابة فانها دار الجهل.

_٤٦_

خيام تنت بخيمه ماند راست،

جان سلطانيكه منزلش دار بقاست؛

فراش ازل زبهر ديكر منزل

نه حيمه بيفكند جو سلطان برخاسن.

أي خيام! أن جسدك يماثل الخيمة حقاً والروح التي منزلها دار البقآء تشبه السلطان. فاذا ارتحل السلطان إلا يقوض الخيمة فراش الازل.

_٤٧_

مى خور كه مدام راحت رح تو اوست،

آسايش أن ودل محروج تو اوست؛
فوفان غم أو در آيد بيش ويست
در باده كريز، كشنئ نوح تو اوست.

اشرب الصهآء فانها راحة روحك وامان لنفسك وقلبك المجروحين، وانما داهمك طوفان الغم من ورائك وامامك فالجأ ولد بالخمرة قلبها سفينة النجاة.

_٤٨_

حورشيد كمند صبح بربام افكند؛
كيخسرو رود باده در جام افكند،
مى حوركه مبادئ سحر كه خيزان؛
آوازه «اشربوا» در ايام افكند.

ارسلت الشمس اشغبها الذهبية على السطح وقد صب ملك النهار صهبائه في الجام، اشرب المدامة فقد نادى مؤذن السَحَر أن «اشربوا»

_٤٩_

يارب خردم در خور اثبات تونيست،
وانديشه من بجز مناجات تو نيست؛
من ذات ترا بواجبى كى دائم،
دا ننده ذات تو بجز ذات تو نيست.

ربي! ليس لعقلي من السعة لابهامك، انا لا افتكر إلا في مناجاتك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعرف ذاتك إلا ذاتك.

_٥٠_

بر مفرش خاك خفتكان مى بينهم؛

در زير زمين نهفتكان مى بينهم؛

جندانكه به صحراى عدم مى نكرم،

نا آمد كان ورفتكين مى بينهم.

ارى فوق فراش الأرض أناساً غارقين في سباتهم وارى تحت اطباق الثرى اناساً مختفين، انا كلما انظر الى بيداء العدم. ارى اناسًا لم يأنوا بعد ولم يذهبوا.

_٥١_

كس خلد وجحيم را نديدست اى دل؛

كو آن كه أن جهان رسيدست أي دل؛

اميد وهراس ما بجيز يست كزآن،

خود نام ونشاني نه يديدست أي دل.

ياقلب! لم ير احد الخلد والجحيم، ياقلب اين الدى جاء من ذلك العالم؛ أن رجائنا وخوفنا من شي لم نجد اسمه ولا رسمه.

ـ٥٢ـ

از آمدن ورفتن ما سودى كو؛

وزتار اميد عمر ما يودى كو؛

در جنبر جرخ جان جندين يا كان.

ميسوزد وخاك ميشود، دودى كو؛

أي نفع من ميجئنا وذهابنا، لما نجد سدى لحمة الأمل من عمرنا. في دائرة الفلك تشتمل ارواح الكشيرين من الطيبين وتصير رماداً فاين دحائها؛

ـ٥٣ـ

كويند بهشت وحور وكوثر باشد،

جوى مى وشير وشهد وشكر باشد،

يك جام بده بياد آن أي ساقى!

نقدى زهزاد نسيه بهتر باشد.

يقولون هناك– فى الآخرة– جنّة وحور وكوثر وانهار من خمر ولبن وعسل مصفى، ناو لنى ايها الساقى كأساً على ذكرها! فان النقد الواحد أفضل من الف نسيئة.

ـ٥٤ـ

برمير زخود حساب اكر باحبرى؛

كاول توجه آوردى وآخر جه برى؛

كوبي تخورم باده كه ميبابد مرد.

ميبايد مردا كر خوري يانخورى.

حاسب نفسك أن كنت واعياً لبيباً. ماذا جيئت به وماذا ستأخذ معك؛ تقول لا اشرب الخمر لأني سأموت. ياهذا سوف تموت شربها أو لم تشربها.

_٥٥_

اين صورت كون جملة نقشست وخيال،

عارف نبود هركه ندابد اين حال؛

بنشين قدحى باده بنوش وخوش باش،

فارغ شوارين نقش خيالات مجال،

أن صورة هذا الكون نقش وحيال. ليس عارفاً من يجهل هذا الحال. اجلس واحس قدحاً من الخمرة واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النفوش والخيالات.

_٥٦_

ما خرقة زهد برسر خم كرديم؛

وزخاك حرابات ثيمم كرديم؛

شايد بدر ميكدها دريا بيم،

آن عمر كه در مدرسه هاكم كرديم.

نحن وضعنا رداء الزهد على بن الخمر وتيممنا بتراب الخانات لعليا نجد في ابوابها ذلك العمر الذى اضعناه في المدارس.

_٥٧_

من بي مى ناب زيستن نتوائم،

بي باده كشيد بار تم نتوائم؛

من بناه آن دمم كه ساتى كوبد،

يك جام دكر بكير ومن نتوائم.

لا استطيع العيش بدون خمرة صافية ولا اقدر أن احمل عبء حسدى بدونها. انا عبد تلك اللحظة التي يقول فيها الساقى «خد كأساً اخرى» وانا لا اقدر من شدة سكرى.

_٥٨_

بيرى ديدم بخانه خمارى؛

كفتم نكنى ررفتكان اخاري؛

كفتا مى حور كه همو ما بسيارى

رفتند وكسى باز نيامد بارى.

رأيت شيخاً في دار خمار، فقلت له إلا تخبرني عن الذاهبين. قال اشرب المدامة! فان كثيرين من امثالنا ذهبوا وما عاد منهم احد مرّة.

ـ٥٩ـ

بر دار بياله وسبو أي دلجو!

بر كرد بكرد سبزه زار ولب جو!

كين جرخ بسى قد بتان مهرو؛

صد بار بياله كرد وصد بار سبو.

ايها الحبيب! خذ كأساً وابريقًا ودر حول الروض الاخضر في جانب المهر فان هذا الفلك قد جعل من قدود الفاتنات ماءة كئوساً وماءة مرة اباريق.

ـ٦٠ـ

از كردش روز كاد بهرى بر كير!

بر تخت طرب نشين بكف ساغر كير!

از طاعت ومعصيت خدا مستغنيست،

بارى تو مراد خود زعالم بر كبير.

خذ نصيبك من توالي الايام واجلس على سرير الطرب رخذ كأساً بيدك. أن الله غني عن الطاعة والمعصية فخذ على الاقل لذتك من الحياة.

-٦١-

آن قصر كه بر جرخ همى زد بهلو!؛

بر دركه أو شهان نهادندى رو؛

ديديم كه بر كنكر هاش فاخته،

بنشسته همى كفت كه كو كو كو كو؛

أن القصر الذي كان يتسامى مع الفلك كتفاً إلي كتفٍ والذى كان الملوك يضمون على اعتابه الجباه، قد رأينا الفاخنة على شرفاته تسجع قائلة «كو كو كو كو» أي «اين اين اين».

_٦٢_

كراز بي شهوت وهوا خواهي رفت؛

ار من خبرت كه بي نوا خواهي رفت؛

بنكرجه كسي واز كجا آمده!؛

ميدان كه حه ميكنى، كحا حواهي رفت!

إذا كنت تحرى ورآء شهو نك وهواك، فانى مخبرك انك ستذهب بائساً يائساً، انظر من انت ومن اين اتيت!؛ وماذا تعمل والي اين نذهب؛

_٦٣_

سرمست به ميخانه كدر كردم دوش،

بيرى ديدم مست وسبوبي بردوش؛

كفتم: زخدا شرم ندارى، أي بير!

كفتا كرم ازخداست، مي نوش وخموش!

مررت بالحانة ثملاً ليلة امس فرأيت شيخاً سكران حاملاً دنّ خمر

على متنه فلت له ألا تستحى من الله ياشيخ! فاجاب «الله كريم» فاشرب واسكت!.

_٦٤_

هين، صبح دميد ودامن شب شدجاك؛

برخيز وصبوح كن، جرابي غمناك،

مى نوش دلا، كه صبح بسيار دمد

أو روى به ما كرده وما روى بخاك!

انظر! لقد طلع الصباح وتمزّق جلباب الليل فقم باكر صبوحك. مالك مغمومًا! اشرب الخمر ياقلبي! فان الصبح سيطلع كثيراً علينا وهو يولى وجهه نحونا ونحن تولى وجوهنا نحو التراب.

_٦٥_

من مى خورم وهركه جو من اهل بود،

مى خوردن أو نزد خرد سهل بود؛

مى خوردن من حق زارل ميدانست،

كرمى نخورم علم خدا جهل بود

انا أشرب الخمرة ويشربها كل من هو مثلى المحل لها. فان شربه لها ليس بصعب في نظر العقل، لأن الله كان يعلم منذ إلا زل باني سأشربها فانا أن لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا.

-٦٦-

كويندكه ماه روزه نزديك رسيد،

من بعد بكرد باده نتوان كرديد؛

در آخر شعبان بخورم جندان مى،

كامدر رمضان مست ببفتم تاعيد

يقولون قداتي شهر رمضان، وليس لأحد بعد هذا أن يحوم حول المدام، أما انا فسأشرب منها في آخر شعبان ما ابقي به سكران طوال شهر رمضان حتى يوم العبيد.

-٦٧-

كر آمدنم بمن بدى نامدمى،

وزنير شدن بمن بدى كى شدمى؛

به رآن مبدى كه اندراين دير خراب،

به آمد مى، نه شد مى، نه بد مى.

لو كان محيئي باختياري لما جئت، ولو كانت حلفتي بيدى لما رغبت أن احلق، الافضل انني لم اكن في هذا الدير الخرب ولم اجئ إليه ولم ابق فيه.

-٦٨-

جامي ومي وساقى برلب كشت،

بهتر زبهشتی که خبر بودش رشت؛

مشنو سخن بهشت ودوزخ ازکس،

که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت.

كأس وخمرة وساق في جنب روضة. خير من الجنّة التي وعدتها، لا تسمعنّ من احد حديث الجنّة والنار من ذا ذهب إلي الجحيم ومن ذا جاء من الجنّة؛

_٦٩_

مالعبتاکنیم وفلك لعنبار،

از روی حقیقتي نه ار روی مجاز؛

بازيجة كنان بديم بر نطع وجود،

رفتيم بصندوق عدم يك يك بار

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا. ذلك امر حقيقي غير مجازي، لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود تم ذهبنا إلي صندوق العدم واحداً بعد واحد.

_٧٠_

يك جام شراب صد دل ودين ار زد،

يك جرعه مى مملكت جين ار زد؛

جز باده ناب نيست در روى زمين،

تلخي كه هزار بار شيرين ار زد.

أن كأساً من الخمرة تعدل الف قلب ودين، وان جرعة من المشعشعة تساوى مملكة الصين، ليس على وجه الأرض غير الخمرة الصافية وهى المرة التي تفضل الحلو الف مرّة.

_٧١_

أي دل تو باسرار معمي نرسي،

در نكته زير كان دافا نرسي؛

اينجا بمى وجام بهشتى ميساز،

كاينجا كه بهثت است دسي يانرسي.

أيها القلب! انت لا تصل الأسرار المعماة، ولا تفقه سكات الاذكياء، اجعل لنفست في هذه الدنيا جنّة من الخمر والكأس، فانك لا تعلم أتنالها في تلك ام لا؛

_٧٢_

روزى كه دومهلتست مى خور مى ناب!

كاين عمر دو روزه بر نكردد ياب!

داني كه جهان رو بخرابي دارد.

تونيز شب وروز همي باش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرّتين كل يوم، فان هذا العمر الفصير لا يعود

اليك مرّة اخرى، انت تعلم أن الكون متوجه إلي الخراب فكن انت ايضاً خراباً ليلاً ونهاراً.

-٧٣_

أي آنكه نتيجة جيار وهفتي!
در هفت وجيار دائم اندر تفتي؛
مى خور كه هزار بار بيشت كفتم،
بار آمدنت نيست جو رفتي رفتي.

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات. إلي متى انت تتألم بالفكر فيها؛ اشرب الحمزة! فقد قلت لك الف مرّة. مالك من أوبةٍ فاذا ذهبت ذهب

_٧٤_

اجرام كه ساكنان اين ايوانند
أسباب تردد خرد مندامند؛
هان تاسر رشته خرد كم نكني،
كآنان كه مدّ برند سركر دانفد.

أن هذه الاجرام السماوية قد تركت العقلآء خياري مترددين، فاحذر! أن تضيع رشدك، فان المدبّرين لهذا العالم حيارى وفي تردد وذهول.

ـ٧٥ـ

جون حاصل آدمي دراين جاي دو در،

جز درد دل ودادن جان نيست دكر؛

خرّم دل آنكه يك نفس زنده بود،

وآسوده كسيكه خود نزاد ار مادر

لما لم يكن محصول الأنسان كم هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح، فالمسرور من عاش لحظة، والمرتاح هو الذى لم يولد من امّه.

ـ٧٦ـ

اين كهنه سراكه عالم اورا نامست،

وآرامكه ابلق صبح وشام است؛

بزميست كه وامانده صد جمشيد ست،

قصر يست كه تكيه كاه صد بهرام است.

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقرّ الصباح الوضّاء والليل الدامس، مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائه بهرام.

ـ٧٧ـ

كفتى كه ترا عذاب خواهم غرمود،

مركز من ازين خبر هراسم نفزود؛

جايي كه تؤئى عذاب نبود آنجا،

وانجاكه تونيستي كجا خواهد بود؛

تفضّلتَ قائلاً: انى سوف اعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر. المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه؛

_٧٨_

آن به كه زجام باده دل شاد كنى،

وزنا مده وكذشته كم ياد كنى؛

وين عازيتي زبند عقل آزاد كنى.

الأحسن أن تسر قلبك بكأس المدامة وان لا تذكر كثيراً ما كان وما يكون– الماضي والآتي– وان تطلق ساعة مهجتك المستعادة السجينة من قيد العقل.

_٧٩_

نايار شراب جانفزايم ندهد،

صد بوسه فلك بدست وبايم ندهد؛

كويند كه توبه كن كه وقتش آمد،

جون توبه كنم تاكه خدايم ندهد.

أن الفلك لا يقبّل يدىَّ وقدمىَّ مائة مرة مالم يسقنى الحبيب صهباء مفرحة. يقولون لي تب من شربها فقد حان وقت التوبة، وكيف اتوب إذا لم

يشأ الله أن اتوب؛

ـ٨٠ـ

تاخاك مرا به قالب آميخته اند،

بس فتنه كه زين خاك بر انكيحته اند؛

من بهتر ازاين نمى توائم بودن،

كزبوته مرا جنين برون ريخته اند.

كم من فتنة اثاروا في طبنتي لما وضعوها في القالب فلا استطيع أن اكون خيراً مما أن عليه، فانهم هكذا افرغوني من الكور.

ـ٨١ـ

در دائرة كامدن ورفتن ماست،

آنرا نه بدايت نه نهايت ييداست؛

كس مى نزند دمى درين عالم راست،

كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست.

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التي جئنا منها والتى نذهب اليها. لا يستطيع احد أن يقول من اين هذه المجئ والي اين هذا الذهاب.

ـ٨٢ـ

تابتواني رنجه مكردان كسرا،

برآتش خشم خويش منشان كسرا،

كر راحت جاودان طمع ميدارى؛

ميربح هميشه ومرنجان كسرا.

لا تؤذ احداً ما استطعت، ولا تجليس احداً على نار غضبك، ولا تجلس احداً على نار غضبك، واذا كنت تطمع في راحة دائمة، فاقبل اذى نفسك ولا تؤذ احداً.

ـ٨٣ـ

نيكر وبدى كه نهاد بشرست،

شادى وغمى كه در قضا وقدرست،

باجرخ مكن حواله كاندر ره عقل؛

جرخ از تو هزار بار بيجاره ترست.

لا تعزون إلي الفلك الخير والشر اللذين هما كم غزيرة البشر، والفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر، لان الفلك –من طريق العقل– اعجز منك الف مرة.

ـ٨٤ـ

جون حاصل آدمى در اين شور ستان،

جزخور دن غصبَّه نيست يا كندن جان؛

خرّم دل آنكه از جهان بيرون شد،

آسوده کسیکه خود نیامد بجبهان..

لما لم يكن ما يجتنيه الإنسان في هذه الحياة ذات الفتن غير الألم وعذاب النفس، فطوبى لمن خرج منها أو لمن يجئ اليها.

ـ٨٥ـ

بنكر زصبا دامن كل جاك شده،

بلبل ز جمال كل طربناك شده؛

در سايه كل نشين كه بسيار اين كل،

از خاك بر آمدست ودر خاك شده

انظر كيف تمزق جلبات الورد بهبوب الصبا، وكيف طرب العندليب بجماله. اجلس في ظل الورد فطالما نبت هذا الورد في التراب وعاد إليه.

ـ٨٦ـ

امشب مي جام يكمني خواهم كرد؛

خودرا به دوجام مي غني خواهم كرد؛

اول سه طلاق عقل ودين خواهم كفت،

يس دختر رزرا به زنى خواهم كرد.

سأشرب في هذه الليلة مدامة في جام يستوعب «رطلاً»، واكون غنياً بجامين من الخمر، وقبل كل شيء اطلّق عقلى وديني ثلاثاً ثم انكح بنت الكرم.

-٨٧-

تا بتوانى خدمت رندان ميكن،

بنياد نماز وروزه ويران ميكن،

بشنو سخن راست ز «خيام عمر»!

مى ميخور، وره ميزن، واحسان ميكن.

اخدم الندامى –اخوان الشَّرْب– ما استطعت، واهدام اركان الصلوة والصيام، اسمع القول الصحيح من «عمر الخيام» اشرب الخمر، واقطع الطرق، واحسن إلي الغير.

-٨٨-

توبه مكن از مى اكرت مى باشد،

صد توبه نا دمانه دربي باشد؛

كل جامه دران وبلبلان نعزه زنان

در وقت جنين توبه وؤاكي باشد

إذا كنت تملك خمراً فلا تتب من شربها، أن لك متسعاً من الوقت لتتوب مائة مرة توبة الندم. نجاح! لقد تفتحت اكمام الورد وصاحت العنادل فهل تجوز التوبة في مثل هذا الوقت؟.

-٨٩-

أي دل جو زمانه ميكند غمناكت،

تاكه برود زتن نروان باكت،

برسبزه نشين وخوش بزر روزي مجندر؛

زان بيش كه سبزه برد مد از خاكت.

ايها القلب قد غمك الدهر، وسيفاريق جسدك روحك الطيب، فاجلس على العشب الاخضر وعش رغداً: بضعة ايام قبل أن ينبت العشب من ترابك.

ـ٩٠ـ

جون مرده شوم به باده شو ييد مرا،

تلقين ز شراب وجام كو ييد مرا؛

خواهيد به روز حشر يا بيد مرا،

از خاك در ميكده جو ييد مرا،

اغسلوني إن مت بالصهباء، ولقنوني بالخمرة والجام، واذا شئتم أن تجدوني يوم الحشر تحروني في تراب حانة الخمر.

ـ٩١ـ

تا جند ز مسجد وتماز وروزه؛

در ميكدها مست شو ار دريوزه؛

خيام، بخور باده كه اين خاك ترا

كه جام كنند وكه سبو، كه كوزه.

حتى مّ تتحدث عن المسجد والصلاة والصيام، اسكر في حانات الخمر ولو بالشحاذة، يا خيام! اشرب المدامة فسيصعنون من ترابك مرةً جاماً، وطوراً دنّاً، واخرى كوزاً

افسوس كه نامه جواني طى شُد،

وين تازه بهار شادمانى طى شد؛

آن مرغ طرب كه نام أو بود شباب

فرياد! ندائم كه كى آمد، كى شد.

يا أسفا! قد انطوى كتاب الشباب، وانطوى ربيع السرور الغض. اواه! لا ادري متى جاء الشباب –ذلك الطائر الطروب– ومتى ذهب!؟

_٩٣_

أي همنفسان مرا به مى قوت كنيد،

وين جهرهُ كهربا جو ياقوت كنيد؛

جون مرده شوم به مى بشو ييد مرا،

و ز جوب رزم تحته تابوت كنيد

يارفقتي! اقيتوني بالخمرة واجعلوا وجهى المصفر كالورس احمرَ كالياقوت، واذا مت فاغسلوني بالمدامة وانحتوا تابوتي من أعواد الكرم.

_٩٤_

آنم كه بديد كشتم أز قدرت تو،

برورده شدم بناز در نعمت تو؛

صد سال بامتحان كنه خواهم كرد،

تا جرم منست بيش يا رحمت تو.

انا ذلك الذى ظهرتُ إلي عالم الوجود بقدرتك وربيت بدلال في نعمتك، سوف أكثر من الذنوب مائة عام لأعلم ايهما اعظم ذنوبي أم رحمتك؟.

_٩٥_

آنها كه زبيش رفته اند أي ساقي،

در خاك فرور خفته اند أي ساقي؛

دورباده خور وحقيقت از من بشنو:

بادست هر آنجة كفته اند أي ساقي

أي ساقي المدام! اولئك الذين رحلوا قبلنا قد ناموا في تراب الغرور، اذهب واشرب الخمر واسمع منى الحقيقة: هؤآء كل ما قالوا.

_٩٦_

تا جند كنم عرضه نادانئ خويش،

بكرفت دل من از بريشانئ خويش؛

زنّاد مغْانه برميان خواهم بست،

داني زجه؛ از ننك مسلماني خويش.

إلي متى اعرض جهالة نفسي، ضاق قلبي من هذا الشتات. اريد أن اشد في وسطى زنّاداً مجوسية. أتعلم لماذا؟ من خزى اسلامى.

افسو كه سرمايه زكف بيرون شد،

وزدست أجل بسي جكرها خون شد؛

كس بامد ار آز جهان كه يرسم ازوي،

كاحوال مسافران الم جون شد.

وإ أسفاه! فقد ذهب رأس المال من ايدينا، وكم من

اباد صارت دامية من يد الموت، لم يرجع أحد من

الآخرة. لأ سأله عن حال الذين سافروا من الدنيا إليها

-٩٨-

اي جرخ ز كردش تو خو رسند نيم،

آ زادم كن كه لابق بند نيم؛

كرميل تو با بيخرد ونا اهلست،

من نيز جنان اهل وخرد نتد نيم.

ايها الملك! انا غير مسرور بدورانك، أطلق سراحى

فإنى غير قمين بان اقيد وان كنت تميل إلى الحمقي والذين

ليسوا اهلا للفضل. فانا ايضا لست ذلك العاقل الكفء.

-٩٩-

آن قصر كه فحشيد در او جام كرفت،

آهو بجه كرد وروبه آرام كرفت؛

بهرام كه كور ميكرفتي همه عمر،

ديدي كه جه كونه كور بهرام كرفت؟

ان القصر الذى كان "جمشيد" يتعاطي فيه الأقداح. قد ولدت فيه الظبية واطمأن فيه اشعاب.

وة"بهرام" الذي كان يصيد حمار الوحش طول عمره، أرايت كيف صاد القبرا بهراماً؟

-١٠٠-

از حادثة جهان زانيده مترس؛

وز هرجه رسد جونيست يابنده مترس؛

وز هرجه رسد جونيست يابندهه مترس؛

اين يكدمه عمرا غنيمت ميدان،

از رفته ميانديش وز آينده مترس.

لا تخش من حادث الدنيا ومن كل ما يصيبك منه لانه لا يدوم، اهز هذا العصر القصير.ولا تفكر فيما مضي ولا تخف من الآتي!

-١٠١-

هر جند كه رنت وبوي زيباست مرا،

جون ذلاله رخ وج سرو بالاست مرا،

معلوم نشدكه در طربخانه خاك؛

نقاش ازل بهر جه آراست مرا.

مهما كان لوني بديعاً. وعرفي ذكياً. ومحياي

كالشقيق. وقامتي كالهانة، لا أعرف لماذا زانني النقاش

الأزلي في هذه الأر دار السرور "؟"

-١٠٢-

كل كفت: به ازلقاي من رويي نيست،

جندين ستم كلا بكر باري جيست ،

بلبل بزبان حال با اوز ميكفت؛

يك روزكه خنديد كمسالي نكريت؟

قال االزهر: لا وجه انشر من وحهي يا عجباً

لم يجور على كل هذا الجور —عاصر الزهر — فاجابه البلبل بلسان الحال قائلا: من ذا ضحك يوماً واحداً ولم يبك عاماً ؟!

-١٠٣-

رفتيذم وزما زماذنه آشذفته بماند،

با آنكي ز صد كهر يكي سفنه بماند؛

افسوس كه صد هزار معغني دقيق،

از بيخردي خلق ناكفته بماند

هبنا. وبقي الزمان بعدنا مضطرباً ولم تثقب الا جوهرة واحدة من مائة، وا أسفا! فقد بقيت مئآت الألوف من المعاني الدقيقة لم تذكر. حذراً من حمق الناس

-١٠٤-

مهتاب به نور دامن شب بشكافت،

مي خور كه جنين دمي دكر نتوان يافت؛

خوش باش وبر انديش كه مهتاب بسي

اندر سرخاك يك بيك خواهد يافت

قد فلق القمر بنوره أهداب الليل، فاشرب اذ ليس في الوسع ان تحضي بعدها بمثل هذه اللحظة، طب نفساً فان القمر سيسط كثيراً على حافة قبر كل واحد منا،

-١٠٥-

باباده تشين كه ملك محمود اينست؛

وزجينك شتو، كه لحن داود اينست؛

از آمده ورفته دكر ياد مكن،

حالي خوش باش زآنكه مقصودا ينست.

ماشي الخمر، فانها ملك محمود، واسمع القيثارة فانها لحن داود، لا تذكرن الآتي والماضي، وطب نفساً في ساتك التي انت فيها، فذلك هو المقصود.

-١٠٦-

اين جرخ كه باكسي نميكو يـ رار،

كشنه به ستم هزار محمود واياز،

هي خور كه به كس عمر دو باره بدهند؛

هر كس كمه شد از جهان نمي آيد باز.

ان هدا الفلك الذى لم يطلع احداً على اسراره. قد قتل الف "محمود وأيار" عدواً وعمداً. اشرب الصهبآء!! انك لا قعطي العمر مرتين. والذي يفارق الحياة لا يعود اليها تارة أخرى.

-١٠٧-

كرمي نخوري طعنه مزن مستانرا،

كردست دهد توبه كنم يزدانوا؛

تو فخر بدين كني كه من مي نخورم،

صد كار كني كه من غلاسمت آ نرا.

ان كنت لا تشرب الخمر. فلا تطعن في السكاري، لو اتيح لي تبت إلى الله، اني تفتخر بانك لا تشرب الحميا وانت تعمل مئات من الأعمال اشنع منها .

-١٠٨-

در سر مكذار هيج سوداي محال،

مي خور همه سال ساغر مالا مال؛

با دختر رز نشين وعيشي ميكن،

دختر بحرام به زما در بحلال.

لا تضع في رأسك حب المحال واشرب الصهباء كل العام با كواب مترعة، عش رغداً مع ابنه العنقود. فان لقاء الابنة بحرام. خير من لقاء الام بحلال.

-١٠٩-

امروز كه نو بت جواني منست،

مي نوشم از انكه كامراني منست؛

عيبش مكنيدا كرجه تلخست خوشت،

تلخست از انكه زندكاني منست.

في هذا اليوم الذي. هو عهد صباي. اشرب الخمرة لأن فيها نيل

مرامي، لا تنتقصوها فهي لذبذة على مرارتها، اجل! هي مرة لانها حياتي.

-١١٠-

آمد سحري ندا ز ميخانه ما،

كي رند خراباني ديوانه ما؛

برخيز كه بركنيم بيمانه زمي،

زان ييش كه يركنند ييمانه ما.

سمعت هاتفاً في السحر من عانتنا يقول: اي يا أخا الشرب المفتون. قم لنملأ الكأس بالخمرة قبل ان يملأوا كأسنا — قبل ان تداهمنا المنية—.

-١١١-

آن جسم يياله بين بجان آبستن،

خجمون سمني بارغوان آبستن؛

ني ني غلطم كه باده از غايت لطف،

آبيست بآ تش روان آبستن.

انظر إلى الكأس فأهها حبلي بالروح، أوانها كياسمين حبل بالارجوان لا، لا، فقد اخطأت القول. بل أنها من شدة لطفها. ماء حيل بنار مائعة.

-١١٢-

در ميكده جز بمي وضو نتوان كرد،

وين نام كه زشد شد نكو نتوان كرد؛
مي ده كه كنون برده مسنوري ما،
بدريده جنان شد كه رفو نتوان كرد.

لا يمكن الوضوء في الحانة الا بالمدامة، وهذه السمعة التي تشوهت نلا يتيسر تحسينها، عاطنيها فان ستار عفافنا قد تمزق. حتى لقد استحال ترقيعه.

-١١٣-

از آمدنم نبود كردون را سود،
وز رفتن من جمال وجاهش نفزود؛
وز هيج كسي نيز دوكوشم نشنود،
كاين آمدن ورفتنم از بهرجه بود.

ما كان للكون نف من مجيئ. ولم يزدد من ذهابي جماله وجاهه، ولم تسمع اذناي أيضاً من أحد عن الغاية من مجيئ وذهابي.

-١١٤-

ير خيز وبيا بتا براي دل ما،
حل كن به جمال خويشتن مشكل ما؛
يك كوزه مي بيار تانوش كنم،
ز آن ييش كه كرزها كننداز كل ما.

قم وتال ايها الصنم. رعاية لقلبنا. وحل بجمالك مشكلنا، هات كوزاً من الخمرة لنحسوها قبل ان يصنعوا اكوازاً من طينتنا.

-١١٥-

ب خون كسان كه جرخ بيباك بريخت،

بر حسن وشباب اي جوان غره شو،

بس غنجه ناشكفته بر خاك بريخت.

ياما هدر الفلك دماء الناس، وياما نبت الورد وتناثرت أوراقه على الثري، أيها الفتي! لا تغتر بحسنك وشبابك. ياما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه

-١١٦-

تابار شناختم من اين ياي زدست،

اين جرخ فرو مايه مرا دست ببست؛

افسوس كه در حساب خواهند نهاد،

عمري كه مرابي مي ومعشوقه كنشت.

غل هذا الفلك النذل يدى. مذ صرت افرق بين رجلي ويدي. واغمتاه! فسيحسبون من عمرى زماناً مر للي بغير مدامة ومعشوقة.

-١١٧-

ابر آمد وبار برسر سبزه كريست،

بي باد، ارغوان نميبايد زليست؛

امروز كه اين سبزه نما شاكه ماست،

تاسبزه خاك ما تماشا كه كيست.

جاء السحاب وبكي ثانية فوق العشب، فلا يجوز اي نعيش بدون مدامة ارجوانية. ان هذا العشب مسرح لا نظارنا اليوم، يا ترى لمن سيصبح عشب ترابنا مسرحاً؟.

-١١٨-

از درس علوم جمله بكر يزي به،

واندر سر زلف يار أو يزي به؛

زان ييش كه روز كار خونت ريزد،

توخون صراحي بقدح ريزي به.

الاحسن أن تهرب من ندس العلوم كلها. وان تنعلق بطره الحبيب، وقبل أن يسفح الدهر دمك. اسفح دم الأ بريق في القدح.

-١١٩-

جون عهده نمي شود كسي فردارا،

خوش دار دمي اين دل يرسو دارا؛

مي نوش به ماهتاب اي ماه كه ماه،

يسيار بتابد ونيابد مارا.

لما لم يكن الغد مضموناً. فافرح قلبلك المشغوف واشرب الخمر على ضوء القمر، لأن القمر يا ايها القمر! سيطلع كثيراً ولا يجدنا.

-١٢٠-

بيش از من وتو ليل ونهاري بودست،

كردنده فلك زبهر كاري بودست؛

زنهار قدم بخاك آهسنه نهي،

كآن مردمك جشم نكاري بودست.

كان قبلي وقبلك ليل ونهار. وكان الفلك يدور لأجل غاية، احذر وخفف الوطء على التراب فأهنه كان جدقه عين لحبيب!.

-١٢١-

اى جرخ فلك خرابى از كينه تست ،

بيداد كرى عادت درنيه تست ؛

ار خاك اكر سينه تو بشكا فند،

بس كوهر قيمتى كه در سينه تست .

أيها الفلك الدوار ! الخراب من اثر حقدك والظلم

عادتك القديمة ، أيتها الأرض ! إن فتحوا صدرك .

وجدوا فيه كثيرة من الجواهر الثمينة .

-١٢٢-

من باده خورم وليك مستى نكنم ،
الا بقدح در از دستى نكنم ؛
دانى غرضم زمى يرستى جه بود ؟
تا همجو نو خويشتن پوستى نكنم .

أنا اشرب المدامة . ولكني لا أعربد ، والى غير الكأس لا أطيل يدي ، أتعلم ما هو غرضي من عبادة الخمر و ذلك لئلا اعبد نفسي مثلك .

-١٢٣ -

حكمى كه ازو مال باشد پرهيز ،
فرموده از و كناره كير و بكريز،
من مانده ميان امر و نهيش عاجز ،
اين قصد جنان بود كه كج دار و مريز .

أمرني: أن أتجنب وافر من الأحكام التي لامحيص لي منها وقد بقيت عاجزا محتارا بين أمره ونهيه ، فهو من يقول اقلب الكأس ولا تسكب ما فيها !.

- ١٢٤ -

این کوزه جو من عاشق زاری بودست،

در بند سر زلف نکاری بودست ؛

این دسته که در کردن او ماینی ،

دستیست که در کردن یاری بورست .

كان هذا الكوز ملى صبا كئيبا مفتونا بدع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التي تراها في جيده . كانت بدأ تعرق احدى الحسان .

- ١٢٥ -

برخیز و مخور غم جهان کذران،

خوش باش و دمی به شادمانی کذران؛

در مطبع جهان اکر وفایی بودی ،

نوبت بنو خود نیامدی از دکران .

انهض ! ولا نحزن على الدنيا الفانية . وطب نفسا واقض وقتك بسرور ، لو كان الوفاء من شيمة الدنيا . لما انتقلت إليك من الآخرين.

- ١٢٦ -

دارنده جو ترکیب طبائع آراست ،

از بهرجه اوفکندش اندر کم و کاست ؛

كرز آنكه بد آمد صورعيب كر است،

ورنيك آمد خرابى از بهرجه خواست .

لما ركب الخالق الطبائع. لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فإذا جاءت رديئة. فالعيب عليه . واذا جاءت جيدة فلماذا يخربها !

-١٢٧-

آنها كه بفكرت در معنى سفتند ،

در ذات خداوند سخنها كفتند ؛

سر رشته اسرار ندانست كسى ،

اول زنخى زدند وآخر خفتند .

أولئك الذين ثقبوا در المعاني بأفكارهم تكلموا كثيرا في ذات البارى . لم يعرف احد منهم مبدأ الأسرار ، إنما هرفوا أولا وناموا أخيرا .

-١٢٨ -

آغاز روان كشتن اين زرين طاس ،

وانجام خرابي جنين يك أساس ؛

دانسته نمى شود بمعيار عقول ،

سنجيده نمى شود بمقياس قياس .

لا يعرف بمعيار العقل . ولا يقاس بالمقاييس . مبدأ دوران هذا الكأس – الفلاك – المذهب ومنتهى خراب هذا الأساس الجيد .

-١٢٩-

ما بيم خريدار مى كهنه و نو ،

وانكاه فروشنده جنت بدوجو ؛

كفتى كه يس از مرك كما خواهم رفت ،

مى ييش من آر و هر كجا خواهى رو .

إنا نحن نشتري كلتا المدمنين المعتقة والحديدة ، ونحن الذين نبيع الفردوس بشعيرتين ، قلت لي : إلى اين اذهب بعد الموت ، هات لي الصهباء واذهب إلى حيث تشاء .

-١٣٠-

اين عقل كه در راه سعادت بويد ،

روزى صد بار خود را ميكويد ؛

در باب تو اين يكدمه فرصت كه نه ،

آن بره كه بدروند و ريكر رويد .

هذا العقل الذي يسير في طريق السيارة ، يقول لك كل روم مأية مرة: انتهز هذه الفرصة . فلست ذلك والكراث الذي إذا حصدوه نبت مرة أخرى .

ز جرم حضيض خاك تا اوج زحل ،

كردم همه مشكلات كردو ذرا حل ؛

بيرون جستم ز بند هر مكر وحيل ،
هر بند كشاده شد مگر بند اجل .

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الأرض و زحل ، ونجوت من عقدة كال مكر رحيلة ، وقد انحلت كل عقدة في الحياة . سوى عقدة الأجل .

-١٣٢-

اى كل تو روى دلربا مبانى ،
اى مل تو بلعل جانفزا ميانى ؛
اى بخت ستيزه كار هردم با من ،
بيكانه ترى وآشنا ميانى .

ياورد ! أنت تحاكي محيا الحسناء ، و يا خمر ! أنت كياقوتة تبهج الروح ، و يا أيها الحظ المعاكس، أنت في كل وقت خصم لي. وتظهر بمظهر الصديق .

--١٣٣-

ييرانه سرم عشق تو در دام كشيد،
ورنه ز كجا دست من و جام نبيد ؛
آن توبه كه عقل داد جانان بشكست .
و آن جامه كه صبر دوخت ايام دريد .

اصطادني عشقك في شر كه ، ورأسي مشتعل بالشيب وإلا فمن أنا وكأس الحميا ، لقد عبث الحبيب بالتوبة التي وهبني إياها العقل ، ومزقت الأيام . ذاك القميص الذي خاطه الصبر .

-١٣٤-

صياد ازل كه دا نه در دام نهاد ،

صيدى بكرفت وآدمش نام نهاد ؛

هر نيك و بدى كه ميرود در عالم ،

او ميكند و بهانه بر عام نهاد .

وضع صيادا لأزل حبة في الشرك واصطاد . وسمى صيده آدم ، انه هو الذي يعمل كل قبيح وحسن في العالم . ويحمل الناس تبعة ذلك .

-١٣٥-

فردا على تفاق على خواهم كرد

يا موى سفيد قصد مى خواهم كرد؛

ييانه عمر من به هفتاد رسيد ،

اين دم نكنم نشاط ، كى خواهم كرد .

سأطوي غدة علم النفاق . وسأقصد الحرة ورأسي مشتمل بالشيب ، بلغت من العمر سبعين عاما ، فاذا لم انشا الان الطرب ، فمتى اعمل ذلك ؟.

-١٣٦-

هر ذره که در روی زمینی بودست ،

حورشید رخی زهره جبینی بودست ؛

کرد از رخ آستین با زرم فشان ،

کان هم رخ وزلف نازنيني بودست .

إن كل ذرة على وجه الثرى ، هي وجه حسناء زهراء الجبين ، يا هذا انفض الغبار من اردانك بلطف ، فانه كان أيضا وجه. حسناء أخرى .

-١٣٧-

برجه، برجه ، زجامه خواب ای ساقی ،

درده ، درده ، شراب ناب ای ساقی ؛

زآن پیش که از کاسه سرکوزه کنند،

از کوزه به کاسه کن شراب ، أي ساقی

يا ساقى ! قم من فراش النوم وأعطني خمرة صافية وقبل أن يصنعوا من جماجمنا اكوازا اسكب الخمرة من الكوز في الكأس واسقنا يا ساقي !

-١٣٨ -

تا ظن نبری که از جهان میترسم ،

وزمردن وزرفتن جان میترسم؛

مردن جو حقيقيست زان باكم نيست،

جون نيك نزيستم از آن ميترسم.

لا تظنن أنني أخاف الكائنات أو أخشى الموت وفراق الروح ، الموت حقيقة فلا أعبأ به . ولكنني أخشى أن لا أعيش سعيداً .

-١٣٩-

عالم همه محتست و ايام فم است ،

كردون همه آفتست و كيتى ستم است ؛

في الجملة ، جو در كار جهان مينكرم ،

آسوده كسى نيست وكر هست كم است .

العالم كله محنة ، والأيام غم ، والفلك له آفة ، و الدنيا ظلم، إني انظر إلى أعمال الحياة . فلا أجد فيها مرتاحاً سعيداً وإذا وجد . فنزر قليل.

-١٤٠-

طبعم به نماز و روزه جون مايل شد،

كفتم كه مراد كليم حاصل شد ؛

افسوس كه آن وضوء به كوزى بشكست،

وين روزه بنيم جرعه مى باطل شد.

عندما مال طبعي إلى الصلاة والصوم . قلت لنفسي لقد حصل

مرادى ، لكن أسفا لقد بطل ذلك الوضوء بضرطة وبطل الصوم بنصف جرعة من الخمر.

- ١٤١ -

خوش باش كه عالم كذران خواهد بود،

جان دربى تن نعره زنان خواهد بود؛

اين كاسه سرها كه تو بينى ، فردا ،

زير لكد كوزه كران خواهد بود .

اسعد ! فان الدنيا ستنقضي وسوف تنوح الروح خلف الجسد ، وهذه الجماجم التي تراها الآن . ستطأها أقدام الكوازين غدا .

-١٤٢-

جندين غم مال و حسرت دنيا جيست ،

مركز ديدى كسى كه جاويد بزيست ؛

اين يك دو نفس در تن تو عاريتيست ،

با عاريتى عاريتى بايد زيست .

لم هذا الغم من أجل المال و لم هذه الحسرات من أجل الدنيا . أرأيت أحدا خلدت له الحياة ! هذه أنفاسك في جسمك عارية . فعش مع الحياة العارية كالغارية .

-١٤٣-

كاويست دو آسمان و نامش بروين ،

يك كاو دكر نهفته در زير زمين ؛

جشم خردت كشاى كرز اهل يقين ،

زير وزبر دو كاو جندين خربين .

ثور في السماء واسمه (الثريا)، وثور آخر مخفي تحت الأرض ، فافتح بصيرة عقلك إن كنت من أهل اليقين ، وانظر إلى مابين الثورين من الحمير .

-١٤٤-

ساقى ، قدحى كه كار عالم نفسيست ،

كر شادى ازويك نفس آن نيز بسيست ؛

خوش باش بهرجه بيشت آيد كه جهان ،

هركز نشود جنافكه دلخواه كسيست .

أيها الساق ! عاطني كأس العالم (نفس) ، وحسب الإنسان من السرور نفس واحد أيضا ، طب نفسا من كل ما تلاقيه في الحياة ، لأن الحياة لن تكون وفق رغبة أحد.

-١٤٥-

آبادئ ميخانه زمى خوردن ماست ،

خون دو هزار توبه در كردن ماست ؛

كرمن نكنم كناه رحمت جه كند،

آرايش رحمت از كنه كردن ماست .

تعمر الحانة بشربنا الحرة ، وفي أعناقنا دم الفي توبة . أنا أن لم أذنب . فا تمنع الرحمة ؟ إنما الرحمة تزدان بآثامنا.

-١٤٦-

هركه كه طلوع صبح ازرق باشد ،

بايد كه بكف جام مروق باشد؛

كويند بافواه كه مى تلخ بود،

بايد به همه حال كه مى حق باشد.

كلما ينفلق الصباح . يجب أن يكون في الكف كأس خمرة مروقة ، يقولون أن الخمرة مرة في الفم ، فإذا على كل حال يجب أن تكون الخمرة هي الحق .

-١٤٧-

آنان كه در آمدند و در جوش شدند،

آشفته ناز ومطرب ونوش شدند ؛

خوردند بياله ومدهوش شدند ،

در خواب عدم جمله هم آغوش شدند .

أولئك الذين ظهروا إلى الوجود وفاروا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال ، وقد حسوا كأسا ودهشوا واحتضن بعضهم بعضا في نوم العدم.

-١٤٨-

می خور که بزیر کل بسي خواهي خفت ،

بي مونس و بی حریف و بی همدم وجفت ؛

زنهار به کس مکو ثواين راز نهفت ،

هر لاله که یؤمرده نخواهد بشکفت .

اشرب الحميا انك سترقد طويلا تحت الثرى حيث لا أنيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج، احذر لا تفش هذا السر لأحد : الوردة الذابلة لا تتفتح أي – لا يعود إليها زهوها ورونقها – .

-١٤٩-

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد ،

وزبهر نشست آشیانی دارد ؛

نه خادم کس بود نه مخدوم کسی ،

کو شاد بزی که خوش جهانی دارد .

من كان يملك من دنياه نتف رغيف ، و عشا حقيرا لسكناه ، لا يكون خادما ولا مخدوما ، فليعش سعيدا فان عيشه رغيد.

زان پیش که از زمانه تابی بخوریم،

با یکدکر امروز شرابی بخوریم ؛

کاین جرخ فلك به وقت رقتن ما ،

جندان ندهد امان که آبی بخوریم.

قبل أن يصيبنا من الزمان التواء ، تعالوا نشرب الخمرة معا، فان هذا الفلك الدوار عند ارتحالنا لا يمهلنا أن نشرب جرعة من الماء.

-١٥١-

ساقی کل و سبزه بسطر بناك شدست ،

درياب که هفته دکر خاك شدست؛

به می نوش و کلی بدین که تا در نکری،

کل خاك شده است و سبزه خاشاك شدست

أيها الساقى ! إن الورد و العشب في طرب كثير ، انتبه فسيكونان ترابا بعد أسبوع ، اشرب الصهباء واقطف الورد : ففي طرفة عين يستحيل الورد ترابا والعشب غثاء أحوى

-١٥٢-

جندين غم بيهوده مخور شاد زی ،

واندر ره بيداد تو باداد زی ؛

جون آخر کار این جهان نیستی است ،

انکار که نیستی و آزاد بزی.

لا تحزن الحزن عبث ، وعش فرحة ، وفي طريق الظلم كن عادلا ، مادامت نهاية الحياة هي العدم . افرض انك لم تكن . وعش حرا .

-١٥٣-

اين يك دو سه روزه نوبت عمركذشت ،

جون آب بجو يبار وچون باد بدشت ؛

هر كز غم دو روزه مراياد نكشت ،

روزى كه نيامدست و روزى كه كذشت .

ذهبت أيام العمر القليلة كالماء في الوادي أو الريح في البيداء . أنا لا أغتم ليومين من الأيام . اليوم الذي لم يأت واليوم الذي مضى .

نشرنا في هذا الكتاب ١٥٣ رباعية مع ترجمها وقد اعتمدنا نسخة الدكتور فردريخ روزن. و نسخة الأديب حسين دانش وقد عرضنا الترجمة على علامة العراق الأستاذ فهمي بك المدرس الذي يعد في طليعة المتوغلين في الأدب الفارسي . فوافق على الترجمة واستحسنها.

الفهرس

القسم الثاني